

أَنْ تَدْخُلَ
الْمَصْفُوفَةَ
وَتُخْرَجَ مِنْهَا

أحمد حديوي

أَنْ تَدْخُلُ
المَصْفُوفَةَ
وَتَخْرُجَ مِنْهَا

رواية علمية تراجمية

المصون
للنشر والتوزيع



- ◀ الكتاب: أن تكون في المصفوفة وتخرج منها
- ◀ المؤلف: أحمد حديوي
- ◀ التصنيف: رواية
- ◀ الناشر: دار ملهمون للنشر والتوزيع
- ◀ التصنيف العمري: E
- ◀ الطبعة الأولى: مارس 2025

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً
لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

ISBN:

◀ الرقم الدولي المتسلسل للكتاب:

◀ إذن طباعة: MC-




جميع حقوق الطبع و إعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للمهمون للنشر والتوزيع،
ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة
المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من ملهمون للنشر والتوزيع.

◀ الطباعة:

   darmolhimon

 SHJ, Industrial Area 18 –
SHD 13, Office :1

 www.darmolhimon.com

 +97165551184

المقدمة (لا تقلق هي غير مُملة)

صديقي القارئ أهلاً بك بما أنك قد بدأت بتصفح أوراق هذا الكتاب؛ فأنت بالتأكيد إما انتابك الفضول حول موضوع الكتاب أو أنك تشعر بأنك تحت تأثير لعنة ما أو أن هنالك ما يُسيطر عليك، نتحدث هنا عن عناصر تؤثر سلبيًا على الشباب عالمياً، عناصر خفية ظاهرة من يتمعن فيها يرى أنها شر أسود من صنَع الإنسان، عدد هذه العناصر ثلاثة ومعمًا يشكلون المصفوفة التي تبتلع كل من يقع تحت تأثيرها، وتجعله نائمًا غافلاً عمًا يدور من حوله.

الإباحية (P) أول وأهم عنصر من عناصر مصفوفتنا:
المواد الإباحية هي المخدرات المشروعة المتاحة التي يمكن الحصول عليها وطلبها في أي وقت وفي أي سن دون قيود أو شروط والأهم دون نقود، هي المخدر الأقوى على الإطلاق بالنسبة لأبناء هذا الجيل؛ حيث تترك الحكومات أبوابها مفتوحةً علينا بدون رقابة، وبكل أسف الإعلام لم يتحدث عنها بالشكل الكافي لأسباب أنت تعرفها ... بالتالي ظهر جيل كامل من الشباب هو جاهل بأخطارها وأضرارها كما أن الإباحية والمخدرات هما وجهان لعملة واحدة إلا أننا لا

نعترف بذلك؛ إذ يلعب كل منهما على مستويات الدوبامين،
وسوائل الدماغ ناهيك عن مراحل التصعيد، تتلف خلايا المخ
وأكثر.... إلخ، ولكن لنتطرق إليها فيما بعد .

العنصر الثاني (\$) :

له أكثر من اسم ...يُمكننا أن نسميه قلة الوعي المالي،
الاستهلاك السيئ أو فخ التسويق اختر ما شئت، منذ مطلع
القرن الماضي تحديداً بعد الأزمات والكوارث والحربين
العالميتين الأولى والثانية، بدأت كبرى الشركات بتبني
سياسات تسويقية جديدة، بدأت حقبة من التغيير الجذري
الناجم عن خوفهم من أن يتوقف الناس عن شراء منتجاتهم
بسبب الجو العام الذي ساد العالم عقب انتهاء تلك الحروب
والكوارث؛ حيث بدأت بتصدير منتجات ما هي إلا رغبات
ورفاهيات في صورة حاجات أساسية لا غنى عنها (ثقافة
تلعب على القيم).

منذ أن خرجنا إلى هذا العالم صدرت لنا دائماً سياسة
Bigger is better كنا نرى أفلاماً مثل: wolf of wall
st, pain & gain وعلى غرارها، دائماً ما أريد لنا أن نشعر
بحالة من عدم الرضا عن وضعنا المادي، كما تم ربط السعادة
بالنقود؛ وكأنها معيار النجاح، كما أننا تربينا على الرغبة في
المزيد إذاً فمن يمتلك أكثر وأكبر منا يُعتبر أنجح، وهو ربما
يكون أحد العوامل التي قسّمت الناس إلى طبقات .

العنصر الثالث (M) :

الإعلام من أفلام وبرامج ووسائل تواصل: أصبح الناس في سباق ونفاق في نشر يومياتهم، والظهور بشكل أفضل على وسائل التواصل، بغض النظر عن حالتهم النفسية في شكل إدمان حقيقي عليها، بكل أسف أصبحت وسائل التواصل في بعض الأحيان مكاناً للغيرة، الحقد وربما الحسد، كما لم يسلم الإعلام من تسميم عقول الشباب بالأفكار والمعتقدات الدنيئة الفاسدة من خلال الأفلام والمسلسلات أو تلك الأعمال غير الفنية على الإطلاق، فتحوّل التلفاز إلى بيئة خصبة للأمراض النفسية والتلوث البصري، بيئة لغسل العقول وإفسادها بشكل غير واع، بيئة نستقبلها نحن دون أن ندري بأحسن استقبال كما سنرى سوياً .

مشهد القهوة

تخيّل معي أننا نذهب سوياً إلى مقهى أو كافيه عادي، لقد وقفنا أمامه الآن، ماذا ترى؟ ستجد مراهقين وشباباً يجلسون، ادخل معي المقهى بالداخل يبدو ضبابياً من الدخان والإضاءة الخافتة تسمع في الخلفية أغنية لمطرب جديد على الأغلب تتمحور الكلمات حول بكائه ونحيبه بسبب غدر أصدقائه وبعدهم عنه وعدم وجود أصدقاء في هذا الزمان، أو لأنه لا يستطيع العيش بدون حبيبته وأن حياته بلا معنى بدونها؛ حيث إنها تضيف قيمة إلى حياته، وأنها نصفه الآخر الذي يكمله وأنه يرضى بكل المصائب إلا فراقه عنها، وباقعة رائعة من الأفكار التي تُثير حافظة أي قارئ أو طبيب في مجال علم النفس.

الآن اجلس معي يوجد تلفاز يومض إضاءة زرقاء وحمراء، يعرض الكثير من الإعلانات التجارية، والقليل من المحتوى. تارة يعرض مباريات ينغمس الناس فيها، وتارة يعرض كليبات رقص وأغاني شعبية ... (والوقت يمر). كلما جلسنا أكثر يبدأ الشعور بالملل ليس من كثرة الإعلانات وصداعك النصفي منها، بل لتفاهتها ومبالغتها، كلما أرادوا الترويج لمنتج ما يصممون أغنية سيئة بكلمات تحملك على شراء المنتج، وموسيقى صاخبة، ورقصة جماعية أو يُحضرون أحد

الفنانين المؤثرين بالإيجاب أو بالسلب ليتولى هذه العملية. انظر عن يمينك تجد طاولةً، وقد جلس عليها مجموعة من المراهقين يتحدثون بصوت عالٍ بالسباب والإيماءات المسيئة والألفاظ والعبارات الشنيعة عن بطلة الفيلم المثيرة، في شيء من الكوميديا السوداء.

ثم انظر عن يسارك في تلك الطاولة، وقد جلس عليها شباب في أول العشرين من عمرهم ولكن يبدو عليهم الجدية، يفكرون في تكوين الأموال من مشروع الكتاكيت أو أقفاص التين الشوكي أو شراء عربية متقلبة لبيع الحلوى. قد تسعد بهم وتظن أنهم مكافحون إلى أن تعرف الغاية وراء ذلك هم فقط يريدون المال بسرعة، ليتزوجوا أسرع، بسبب ضغوطات الحياة عليهم سواء نفسياً أو فسيولوجياً أو اجتماعياً، لا ليتعلموا كيف يديرون مشروعاً أو لمعرفة دراسة جدوى المشروعات فقط يريدون المال اعتقاداً منهم أنه معيار النجاح؛ ليزداد إعجاب الناس بهم، وتحبهم جميع الفتيات يريدون سيارةً خارقة وثياباً باهظة، والسعى في تكوين جانب مادي قوي، مهملين بذلك لجوانب كثيرة أخرى، هم كانوا فيما مضى مثل مراهقي الطاولة اليمنى كانوا شديد التأثير بالأغاني والإباحية والإعلانات والمشاهير.

بعيداً في تلك الزاوية النائبة الكئيبة المعتمة في المقهى تجد شابين حالهم غير الطاولتين السابقتين من المشاريع الصغيرة أو من المزاح الجنسي الساخر للمراهقين، جلسوا في هم

وحزن أحدهم أهمل تسريحة شعره ونسى العناية بملبسه يرتدي حذاءً بالياً قديماً، وقد بدت عليه معالم الفقر، تخرّج في كلية هي ليست بالمناسبة له، كما يحمل هم الوظيفة التي بالأحرى لن تنال اهتمامه.

أما الآخر على العكس تماماً، ثياب نظيفة، شعر مصفف وحذاء أبيض لامع براق، يبدو عليه الثراء والنعمة، جلس هو الآخر في انهماك من العمل الذي أصبح بعد مدة لا يطيقه، برغم أنه يجني منه أموالاً طائلة، لكنه متعب من هذه الدوامة كما أنه قد سئم من عدم وجود شريك لحياته كما أنه ساخط على كل الفتيات التي عرفهم سابقاً، وما جمع هؤلاء الثنائي غير المتشابه سوياً هو إدراكهما أن حياتهما فجأة وبدون سابق إنذار قد أصبحت بلا معنى، هدف، طعم أو لون.

بخارج المقهى ترى مجموعة من المسنين، وقد جلسوا يتذكرون الماضي في حنين، كما انتبهوا في حديثهم عن المستقبل في ذهول وخوف من الموت المنتظر، وندم على الحياة التي مرت بلا معنى.

*

يلخص هذا المشهد جزءاً من المخاوف الأربعة التي تحدث عنها علماء النفس وهي الخوف من: الموت، الوحدة، اللامعنى، والحرية ... هذا هو حال معظم الشباب وليس كبار السن فقط.

إذن لدينا ثلاثة عناصر ومصفوفة، ولدينا أيضاً بطل وضحية قصتنا «فارس» الذي خاض التجربة من المراهقة إلى الشباب تحت تأثيرها.

تدور أحداث الرواية بشكل علمي مبسط؛ حيث نرى غفلةً ومعاناة بطلنا من تلك العناصر، ونرى كم احترق وتآكل حتى تمكن من التحرر من أسرها في نهاية المطاف، ليُنير لنا الطريق.

في بادئ الأمر سترى البطل شخصاً عادياً جداً وربما تافهاً، ستكره ثم ستراه ضحية لمجتمعه وللمصفوفة وستتعاطف معه ثم في النهاية ستراه بطلاً قوياً قد عاقر وقاوم للخروج من بركة الوحل خاصته، وهذه هي روعة التراجيديا...

تنقسم هذه الرواية إلى جزئين الأول: يحكي عن شخصية البطل بيئته، منشأه، وأصدقائه والعوامل التي أدت إلى وقوعه بداخل المصفوفة في أحداث مضحكة ومحزنة في آنٍ واحد ...

أما الجزء الثاني: يحكي عن صفعات القدر التي أفاقته من غفلته؛ لتجعله ينتبه إلى ما قد وصل إليه في قاع الوحل؛ حيث نرى ندمًا وعذابًا وامتعة عند خروجه منها في نهاية المطاف كما يتضمن (الجزء العلمي) الذي تُسرد أحداث الرواية للوصول إليه؛ حيث يشرح بشكل علمي روائي مبسط تأثير هذه العناصر بطريقة سهلة.

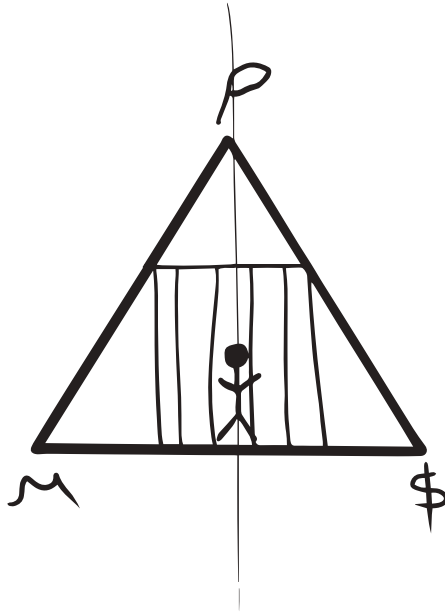
إيماناً بأن الفن هو نقد الحياة، ولطالما كان له تأثير على
الناس، لحل مشاكلهم والتغيير نحو الأفضل على مر
العصور، إليك هذا العمل وكلي أمل أن تستمتع به.
وضّح دكتور «جيمس بروهاسكا» أن التغيير لا يحدث في يوم
أو اثنين وأنه يأخذ وقته، إذ يمر بخمس مراحل.

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل التفكير (الإنكار)
المرحلة الثانية: مرحلة التفكير (المقاومة والاعتراف)
المرحلة الثالثة: الاستعداد
المرحلة الرابعة: الفعل / التغيير
المرحلة الخامسة والأصعب: المحافظة على التغيير
نستعرضهم جميعاً في حياة «فارس».

عن أحداث حقيقية ...

الجزء الأول

(أن تكون بالمصفوفة)
- مرحلة السقوط والضياع.





فترة المراهقة والثانوية

كان فتى في خضم الـ ١٨ من العمر، متوسط البنية، مشدود القوام، يهوى التمارين الرياضية، له نصيب جيد من الجمال، رقيق القلب وله شعر طويل، أجعد ملفوف الخصال لا يهتم بتمشيطة أو وضع أي شيء للعناية به أو حتى قصه لم يأبه بأمره شيء، ومع ذلك كان لا بأس به.

إذا تمعنت النظر إلى ثيابه وجدتها تتصف بالغوغائية التي تميل إلى البساطة في آن واحد، تجد كنزته هادئة الألوان لا طباعة عليها، كذلك الجاكت غالي الثمن بسيط الشكل، ولكن كثيراً ما تجد البنطال مرة طويلاً واسعاً، ويكاد يكون ملامساً للحذاء، وأحياناً وجدته ضيقاً قصيراً يظهر جواربه، كذلك بعض ملابسه كانت قديمة مهترئة وبعضها جديدة.

لم يهتم لما تحت ثوبه من ملابس داخلية بيضاء، مع ذلك كان يهتم بنظافة جسده إلى حد الوسوسة، يرتدي في يديه العديد من الأساور ذات الألوان المبهجة في معصم واحد كحال معظم أقرانه في نفس السن ... في المجمل هو يهتم بالجزء العلوي فقط من ملابسه مهملاً لحذائه وجوربه وما أخفي تحت ملابسه.



الآن أريدك أن ترتدي معي نظارتك المعظمة؛ ولنحلل «فارس» سوياً حسب علم الفراسة...

علم الفراسة: (هي أحد العلوم التي ظهرت واشتهرت في بلاد العرب، والذي يهدف إلى معرفة أخلاق وطباع الناس الباطنة من خلال الاستدلال بأحوالهم الظاهرة، كالألوان والمظهر الخارجي والهندام والشكل وغيرها... إلخ).
والآن لنبدأ: أولاً أن جعل الشعر طويلاً دون العناية به أو تمشيطه وترتيبه من أكبر أدلة الكسل والإهمال.

ثانياً: إذا كان الثوب نظيفاً ولكنه غير مرتب يغلب في طباعه الإسراف والكسل، أما إذا شاهدت ترتيباً في بعض أجزائه دون العناية بالأخرى فهو قليل الصبر، أما إذا وجدت تفاوتاً بينها؛ كأن يكون البعض ثميناً والآخر رخيصاً أو بعضه ضيقاً، والآخر كان واسعاً أو قصيراً أو طويلاً. مثلاً إذا كان الثوب جديداً والحذاء قديماً؛ فاعلم يقيناً أنه ضعيف الرأي...

أعتقد أنك ترى «فارس» الآن بنظرة مختلفة، إلى هنا واخلع نظارة التحليل..

لكن دعها قريبة منك ربما نحتاجها، أردت فقط أن أُغدق عليك من هذا العلم الدسم؛ فالفراسة تسهل معرفتك بالناس وقراءتك لهم بشكل أسرع لقد اشتهرت قديماً بين العرب والعجم كما تحدث عنها رسولنا الكريم ففي حديث شريف قال -صلى الله عليه وسلم-: (اتقوا فراسة المؤمن، فإنه



ينظرُ بنورِ الله^١ .

أما عن طباع فارس وصفاته، فقد كان يعيش حياة رتيبة وعادية، تكونت أسرته من أب وأم وأخوان هو الأوسط لهما، ولم يكن يحب ترتيبه بينهما، حيث كان هو فقط من يكلف بالكثير من الأعمال المنزلية من قبل والديه؛ حيث لن يطلبوا مساعدة الأخ الأصغر فهو المدلل الصغير، وكذلك ليس من الأكبر فهو من يكد ويشقى في العمل إذاً من يتبقى... إنه الأوسط «فارس»، كانت أسرة طيبة بحق ولكن مع كل أسف لنعترف لا أحد يربي ١٠٠٪ بشكل سليم، ففي صغره كانت كثيراً ما تضربه وتعنفه أمه هو وأخوه الأكبر، وقد كثرت في بيتهم الأفكار والقيم الخاطئة التي نشأوا عليها من قبيل: «لا تبك فالرجل لا يبكي» أو «لا تتحدث بينما يتحدث الكبار» غير استمرارهم في معاملته كطفل حتى وهو في سن المراهقة ... في علم النفس التربوي يجب أن يُعامل الأطفال معاملة الند بالند أو كما لو كانوا .

كباراً عليك أن تحترم آراءهم وتحترم من حولك من الناس أمام ناظرهم، فتتم النشأة على الاحترام وتقدير الذات وقد شاهده، فالأولاد لا يفعلون ما يؤمرون به بل يقلدون ما نفعه نحن أمامهم. ولكن على كل حال كان شاباً جيداً إلى حد ما حيث ربته الأسرة على الأسس والمبادئ الدينية، من صلاة وصوم والعديد من العادات الإيجابية .

١ رواه الترمذي



كان يعيش اليوم بيومه، لا يبالي بشأن النقود ولم يفكر حتى في مساعدة والده الخمسيني الطيب، بل كان يأخذ الأموال وينفقها في غير احتياجاته (رغباته) مثل جاكيت أو سترة كان قد ارتداهم أحد الممثلين في فيلم ما بغض النظر عن ملاءمته لجسده، كان ينفق على الحفلات والخروجات والغريب أنه مع كل ذلك كان يشعر بأنه فقير، مع أنه انحدر من طبقة تستطيع القول بأنها متوسطة الدخل، كان يهوى التمارين الرياضية بشدة، جاهلاً قيمتها الحقيقية فقط ليظهر بجسد ملائم وعضلات جذابة (كان سطحياً).

أما عن دراسته فكان منذ دخوله الثانوية، وهو يشعر أنه قد شب وكبر على أن يذاكر كما الأطفال، أخذه الغرور لم يكن يهتم بالدراسة إلا قبيل الاختبارات النهائية، والأسوأ أنه لم يفكر يوماً في مستقبله بعد انتهائه من الثانوية.

كان يحب الأفلام الأجنبية بغض النظر عن محتواها أو اختلاف العادات والثقافات بها، كان يحب الأفلام التي تحكي عن المراهقين في المرحلة الثانوية التي تتمحور غالباً حول البحث عن حبيبة في المدرسة لتعويض شعور البطل من النقص والعوز لملء فراغه العاطفي، والعراك مع متمم الصف، وحفلات لم الشمل وما يدور فيها من شرب المسكرات كما لو أنه ماء، ومن تدخين المحرمات، أووه ويجب أن يكون هنالك الشاب الأكثر وسامة، شعبية والأهم الأكثر ثراءً وأكثرهم معرفة بالشابات.



المثير للاشمئزاز أن كل هذا يتم وهم فقط أبناء الـ ١٦٠ .
كما تدخل في ٩٠٪ من الأفلام تعاطي المخدرات، أو إيحاءات
جنسية، لفظية كانت أو جسدية هذا غير المثلية الجنسية،
ناهيك عن أن العنف والدم يصبح شيئاً مضحكاً في بعض
الأحيان، هذا غير العديد من الأفكار التي تتسدل بين
السطور. على الرغم من وضوح تلك الأفكار إلا أن «فارس»
كان أعمى، أبلهًا، يحب الرومانسية التي تشعر بحاجة مُلحة
ضرورية لها لم يرَ بوضوح للأسف كمعظم أبناء جلدته.

الآن ماذا ترى حياة عادية بلا معنى أو هدف هذا بديهي
جدًا، ولكن وجب عليك هنا أن تسأل ما الذي جعله في هذه
الحالة؟ لماذا هو الشخص الأناني، المغرور، السطحي لا يفكر
في مستقبله؟ لماذا لا ينتبه إلى أموره المالية إذا كان يشعر
بالفقر؟ ولماذا يريد ملء فراغه العاطفي وهو ابن الـ ١٨؟ بدلاً
من العمل على اكتشاف وتطوير مهاراته واكتساب خبرات
جديدة، لماذا اهتم بقشور الأشياء وظواهرها؟

““



يوم استثنائي

في يوم عادي، رتيب، مبتذل كسائر الأيام تطلع الشمس، يستيقظ هو وأخوه الأصغر في تملل للذهاب إلى المدرسة، الأم تركض في جميع أرجاء المنزل الأب لا يزال نائمًا، وكالعادة الكل يصرخ ويتشاجر للدخول إلى الحمام الأم تركض وراءهم لإعداد الإفطار وتلبس الأخ الأصغر بينما «فارس» قد أعد حقيبة ظهره التي تزن حوالي خمسة كيلو جرامات، استيقظ ودخل إلى الحمام بسرعة قبلهم، وجلس يتناول فطوره في جو روتيني جدًا، مشاهدًا برنامج «صباح الخير يا مصر» على قناة «المصرية» للأخبار؛ حيث تحب الأم معرفة ما يدور في البلاد قبل الشروع والبدء باليوم، يستيقظ الأب مسرعًا يشرب الشاي في الكوب المعتاد، يأكل شطائر الجبن ثم يهرع إلى «زوبا» (السيارة) القابعة أسفل المنزل، يذهب الكل إلى السيارة بعد إغلاق المنزل جيدًا والتأكد من غلق الكهرباء والغاز بإحكام، ثم يجتمعون في «زوبا» حيث ينتظر الأب بفارغ الصبر بعدما استمع إلى إذاعة القرآن الكريم بصوت الشيخ محمود البنا، يقود الأب السيارة، ينزل الجميع إلى محطته الأم إلى عملها والأخ الصغير إلى المدرسة، وأخيرًا «فارس» إلى مدرسته الحكومية ...



لا يوجد شيء مثير في المدرسة.. المعلمون لا يحبون الشرح والتلاميذ لا يريدون الاستماع، وهو فقط يحاول تجنب المشاغبين، وعدم الذهاب إلى ناظر المدرسة هو لا يذاكر ولا يقوم بواجباته المدرسية كلها لم يكن لديه الكثير من الأصدقاء، معظم طلاب الصف من المتممين أو المجانين، أو يجلسون في آخر الصف بهاتفهم الخليوي (يشاهدون موادًا إباحية).

دخلت المعلمة «تهاني» وشرحت مادة الدراسات الاجتماعية حتى لا يؤلمها ضميرها، وشرح المعلم «فرحان» مادة الرياضيات التي لم يفهمها أحد فقط لوجود بعض المفتشين من الوزارة.

يرن الجرس ...» ترررن» لينفجر الدوبامين من أدمغة الأولاد، إنه الجرس المنتظر جرس إعلان وقت الفسحة يقفون جميعاً قبل انتهاء المعلم من الشرح، ويقوم زعيم المشاغبين «أبو طالب» بفتح باب الفصل ومن ثم يتبعه باقي التلاميذ إلى الخارج، يخرج «فارس» في هدوء مبالغ فيه بالنسبة إلى سائر الطلاب، لينزل إلى حوش المدرسة مستكشفاً إياه بينما هو يمر من أمام الملعب ... فجأة تضربه كرة قدم لتدمر ما بين فخذيته، بينما لا يعتذر من قام بركلها ولكن في كل وقاحة يضحك اللاعبون على منظر فارس،

الذي ملئت الدماء وجنتيه وانحنى ظهره وجلس على ركبتيه في ألم رهيب (يبدو أنه سيحتاج إلى عملية بروساتاتا



في سن مبكرة)، نهض «فارس» في بطن شديد وقال: أنا بخير وأعطاهم الكرة... على كل حال لم يعر «فارس» انتباهه بالموقف فلم تحدث كوارث كبيرة كان فتى مسالماً آخر شيء يريده هو العراك مع أحدهم، قرر أن يترك المكان ويذهب إلى الكانتين لشراء كيس من البطاطس المقلية لعله يخفف عنه ألم الموقف السابق، ينظر إلى الطابور الكبير أمام الكانتين ليتذكر عربات توزيع اللحوم المجانية على المواطنين، يدخل ويخرج من الطابور وقد رن جرس انتهاء وقت الفسحة؛ ليتذكر «فارس» أن الحصص القادمة هي حصص الكيمياء مع المعلمة «عواطف» فلا ضير أن يتأخر قليلاً هي تحبه؛ لأنه تلميذ ممتاز في مادتها كما أنها تعلم أنه ولد خلوق، يتجول «فارس» حاملاً كيس البطاطس في براءة طفل يرى الأولاد وقد كانوا يركضون في كل مكان بعدما نزل المدرسون يطردون الأولاد من حوش المدرسة، يضربونهم بالعصا وبالأكمام والأيدي كما لو كانوا يفضون مظاهرات شعبية في أحد الميادين العامة، كان «فارس» يشعر أنه في مشفى للأمراض العقلية... الأولاد يضربون بعضهم ويصيحون في كل مكان كأنهم غوريلات، كان يعتقد في نفسه أن بعضهم يتناول أنواعاً مختلفة من المنشطات، على كلٍّ أراد أن يخوض التجربة، ويفتح أكثر على باقي الطلاب، لعل الأيام تصنع له أصدقاءً جُددًا.

بينما كان يجلس ويشاهد هذا المشهد في هدوء قائد الأوركسترا الذي يحفظ سمفونيته عن ظهر قلب... كان



فارس يحفظ كل شيء يدور من حوله، هنا ينزل المعلم «تامر» ليركض وراء «عمار» لص الشطائر، هنا مجموعة مكونة من خمسة تلاميذ يلعبون اللعبة نفسها كل يوم حتى يركض وراءهم جميع مدرسي المدرسة، وهنا خلف المنصة يدخل طلاب الصف الثالث «آدم» و«جورج» السجائر في خفية... بينما شارف «فارس» على إنهاء كيس البطاطس، وإنهاء هذا المشهد الروتيني، إذ يصطدم به أحد الطلبة المشاغبين ليوقلعه أرضاً الأمر السيئ أنه حدث عن عمد ليقع «فارس» في كومة من التراب فاقدًا كيس البطاطس من يديه، ينظر «فارس» ليرى من هذا الشقي ليجده «أبو طالب» ينهض ويقول له: انظر أمامك وأنت تركض..

يرد عليه «أبو طالب»: كيف لك أن تخاطبني بهذه اللهجة أيها الأبله؟

- وقبل أن يهم «فارس» بالرد عليه من اللامكان وعلى حين غرة تأتيه صفة غير متوقعة على وجهه؛ ليجدها من «عوض» الصديق الصدوق لـ«أبو طالب».... أخذ فارس شهيقاً قوياً وثانيتين من الزمن حتى يستجمع نفسه، ويستوعب ماذا حدث قبل أن يقوم بصف «عوض» صفة قوية أهلكته، وبينما يقع «عوض» أرضاً يقوم «أبو طالب» بالالتحام مع «فارس» الذي قام بدفعه بعيداً بكل قوته... فجأة انشق قميص المتتمر سيئ السمعة «أبو طالب» بين يدي «فارس» وبعد معركة طفولية دامت لدقائق حتى تدخل المدرسون،



ولكن تمكن الطلاب من الهرب.

كان قلب فارس يدق خوفاً من «أبوطالب» الذي بدأ يتوعده بالهلاك فور انتهاء اليوم الدراسي أمام المدرسة ... بعد ذلك يصعد فارس إلى الفصل ويعتذر من المعلمة «عواطف» في أدب، ويمضي اليوم الدراسي ولا يشغل بال «فارس» سوى أمر واحد ماذا سيفعل «أبو طالب» يمضي اليوم ويصلي فارس صلاة الظهر كان تقريباً التلميذ الوحيد الذي يصلي بالمدرسة من ثم يذهب «فارس» أمام باب المدرسة بعد أن أخّر من مشيته متخيلاً انتظار «أبوطالب» وحاشيته، وكلابه البولدوغ، وبحوذتهم مضارب كرة اليد... إلخ، ولكن خمن لم يحدث أي شيء.

يحمد «فارس» ربه لعدم وجود كل ما كان في مخيلته، ويكمل طريقه.. كان هذا يوماً روتينياً آخر كسائر الأيام ... يعود «فارس» إلى المنزل بعدما تحسس أخوه الأكبر من وجود خطب ما، أنهى مكالمة هاتفية ثم قال «لفارس»: حضر نفسك سنذهب إلى إحدى الحفلات الموسيقية، لم يكن «فارس» يعرف شيئاً عن تلك الحفلات، ولكن بعد أن قام أخوه بإقناعه للذهاب معه هو ورفاقه قرر أن يكتشف شيئاً جديداً يكسر الملل، كانت الحفلة تقام بحي الزمالك، بساقية الصاوي، أمام الأبواب زحام شديد جداً وحتى عندما دخلوا إلى القاعة وجد تجمعاً بشرياً عظيماً لمختلف الفئات العمرية من مراهقين وآباء وأولاد، الكل يترقب في صعوبة ولهفة بدء الحفل، ما



أثار فضول «فارس» ليرى الفرقة التي ينتظرها هذا العدد الكبير من الناس، ثم قام عبد المنعم الصاوي بإلقاء كلمة افتتاحية سريعة، وسرعان ما انتهى وتركهم في حماس أكبر، ثم أغلقت ستائر المسرح وأُغلقت الإضاءة، وخيم صمت مهيب على المكان فجأة بدأت موسيقى خافتة في الخلفية، ومن ثم بدأ الأدرينالين والحماس يندلع في عروق الشباب، وزاد ضخ القلوب للدماء داخل أجسادهم، وكاد الحماس يفتك بهم وانفتح الستار وظهرت الفرقة وعلت الموسيقى وبدأ الغناء، وصاح الجميع في صوت واحد «كااايروكي».....«كااايرووكي» بدأت الموسيقى والحفل أخيراً وأخذ الناس يغنون بصوت عالٍ كما لو كانوا في إحدى المعارك الحربية أو المظاهرات الشعبية، كان صاحبنا قصير القامة بالكاد استطاع رؤية المسرح.

لاحظ «فارس» أن الجمهور منهم من كان يبكي، ومنهم من كان يرقص بطريقة عجيبة كما لو كان صوفياً بحلقة ذكر، تعجب «فارس» منهم ومع نهاية الحفل شعر ولأول مرة بالانتماء، كانت الفرقة تغني أغاني هادفة لا تُخاطب الغرائز وليس محور اهتمامها عن الحب والغرام، بل كانت تبث قيماً، وأفكاراً داعبت عقل «فارس» أفكار لم يسمع بها من قبل كان يوم لا يُنسى ...

بعد فترة زاد اهتمام «فارس» بهذه الفرقة التي كان قد اعتبرهم مثلاً وقدوة لهذا الجيل لما تحمله أغانيهم من معانٍ



ثمينة، ومع الوقت زاد إعجاب «فارس» بالمغني الأساس للفرقة «أمير عيد» الذي رأى فيه الزعيم الذي يُحرك ويُخاطب الناس بما في عقولهم في شكل أغاني وأفكار يستطيع من خلالها التأثير عليهم، أراد «صاحبنا أن يصبح مثل مغني الفرقة» ليس فقط بجيتاره وشكله، ولكن بأفكاره القوية، الراسخة.

ومع الأيام بدأ فارس يُطالع الكتب وزاد حبه للمعرفة والموسيقى في نفس الوقت، ولكن لم يكن لديه آلة موسيقية، بحث عند أقاربه ومعارفه وأصدقائه، وللأسف لم يجد شيئاً. بالرغم من أنه لم يكن ميسور الحال، إلا أنه تمكن من ادخار بعض الأموال التي كان يعطيها له أقاربه من خلال الزيارات العائلية، ومن والده أيضاً بين الحين والآخر، مع أنه لم يكن له مصروف ثابت حتى لو بشكل بسيط كسائر أصحابه، إلا أنه تمكن في النهاية من تكوين المبلغ المراد وقدره ٥٠٠ ج.

الآن وبعد طول انتظار دام لشهور تمكن من شراء حلم مراهقته الأول (جيتار كلاسيك). بالرغم من عدم معرفته بأي شيء عن الموسيقى أو لغتها أو قواعدها، إلا أنه كان في سعادة عارمة لكن مع الأيام كادت تتطفئ تلك السعادة والحماس في قلبه.

“



صدمة كبيرة مضدكة

بعدهما قام «فارس» أخيراً بتحقيق حلمه وشراء الجيتار، أخذ يلعب عليه بشيء من البلاهة والنشاز، إلى أن جاء وقت التعلم الحقيقي، حيث هنا تكمن المشكلة، حيث لم يكن في مقدور والده أن يتحمل تكاليف هوايته الجديدة، هو بالكاد يتحمل تكاليف المنزل والمدرسة.

حاول «فارس» أن يُبادر بالتعلم عبر الإنترنت، ولكن معظم الناس على اليوتيوب إما هواة يحفظون الكوردات والنغمات دون معرفة أي شيء يخص قراءة النوتة الموسيقية، أو العكس تجدهم متمرسين يتقنون كل شيء، ينتقلون بسرعة البرق بين الأوتار على أساس أن الجميع محترف مثلهم.

لم يكن «فارس» يعلم أي شيء عن النوتة الموسيقية مما بدأ يحبطه، لكنه بدأ يبحث في عائلته عن أي خريج أو دارس في أحد المعاهد الموسيقية، أو عن أحدهم ممن لديه شغف تجاه الموسيقى بشكل عام للأسف يبدو أنه كان وحيداً في العائلة بهذا الاهتمام... بعد فترة يظهر صديق لوالده كانت لديه خبرة مع إحدى الآلات الموسيقية أطلق عليه «فارس» فيما بعد اسم «بيتهوفن المجنون».



جلس معه «فارس» في حماس ليتلقى العلم، لم يدرك المسكين ما سيحدث له، عندما جلسوا سألته «بيتهوفن المجنون»: لماذا اشتريت هذه الآلة وأنت جاهل في علم الموسيقى؟ ثم أضاف في لكمة ساخرة: هل تعتقد يا بُني بأن لديك ذكاء موسيقي؟

ثم سألته: قل لي ماذا تسمع من الأغاني من هم المفضلون عندك؟

يرد «فارس» بعد كل هذه الأسئلة في صوت رخيم: أحب كايروكي يتعجب «بيتهوفن المجنون» فبالنسبة إلى واحد من مواليد منتصف القرن العشرين تربي على أغاني السبعينيات وكوكبة مختلفة من الفنانين والنجوم، لم ولن يفهمه فسألته في ازدراء: وما كوركيبه هؤلاء ... نحن في سنك كنا نستمع إلى أم كلثوم وعبد الحليم بعدها شرع «بيتهوفن المجنون» في إطلاق كلامه المسموم على «فارس» أخذ يقول له: يا بُني أنت حتماً تقلدهم فقط، أنت لست موسيقياً مثلهم، بالطبع ليست لديك الموهبة ... بدا على «فارس» معالم الحزن ففي حياته لم ينتقده أي شخص أو يخاطبه بهذه اللهجة من قبل، ولكن ما أحزنه فعلاً هو اقتناع أهله بكلام «بيتهوفن المجنون»، والذي بدا من كلامه أنه خلال مرحلة ما من حياته كانت لديه تجربة سيئة مع الموسيقى، والتي قام بإسقاط نتائجها على «فارس».



كان «فارس» يدرك في ثنايا قلبه أنه لديه الموهبة والذكاء الموسيقي، كانت لديه القدرة على حفظ وتذكر الموسيقى، وتمييز الآلات المستخدمة في أي مقطع فقد كانت الموسيقى هي كل حياته.

مضى «فارس» حاملاً هم العالم على أكتافه، وبدأ يهمل دراسته وحياته بشكل عام، وفي إحدى محاولاته للتعلم من اليوتيوب أخذ يتصفح بلا هدف وبالصدفة رأى أول عناصر المصفوفة، ظهرت أمامه أحد المشاهد الإباحية، وللأسف بسبب حالته النفسية انجرف في هذا التيار أكثر وأكثر لساعات دامت وأصبحت أياماً لتصبح شهوراً، زاد إهمال «فارس» لنفسه وبدأت تتغير شكل حياته الاجتماعية مع أنها لم تكن المرة الأولى التي يتعرض فيها لمشاهد شبه جنسية أو لإيحاءات، فحاله كحال الكثير من أبناء جيله الذين وجدوا مثل تلك المشاهد في ألعاب الحاسوب مثل: العصابات الأمريكية ومن منا لا يعرفها وغيرها من الألعاب التي كانت تمثل عالماً افتراضياً حيث يمكنك من الذهاب إلى حانة، ملهى ليلي، نوادي للرقص و شواطئ تجردت من الحشمة وعش حياتك، غير احتواء بعض المهام على أشياء جنسية جداً لدرجة لا يفهمها الصغار، ناهيك عن العنف والقتل والذبح والدفن الذي أصبح شيئاً طبيعياً تربي عليه جيل كامل، غير أنه قد اعتاد تجمع زملاء الفصل في آخر الصف ليشاهدوا المواقع الإباحية، في غياب لدور الآباء والمعلمين.



مع بداية الفصل الدراسي الجديد، بدأت حالة من الخمول تتسلل إلى حياته، يذهب إلى المدرسة يتجنب التلاميذ، يعود إلى المنزل لا يُذكر شيئاً، يتصفح المواقع الإباحية، ويتشاجر مع أهله بسبب بُعده عنهم وفشله الدراسي، في صباح يوم الإثنين الجديد فجأة يتغير روتين المدرسة؛ إذ قام أحد المعلمين الجدد بجمعهم للذهاب إلى حصة النشاط الرياضي كما كان يظن «فارس»، ولكنه ساقهم إلى فصل جديد، دخل التلاميذ إلى الفصل، واستقبلتهم المعلمة استقبالاً حاراً بالمقشبات والقطع القماشية، جعلتهم ينظفون الفصل ويكنسونه، بعدها عنفتهم وأجلستهم في صمت وخوف.

بينما كان أحد التلاميذ يقوم بجمع القطع القماشية التي استخدمت بالتنظيف؛ ليضعها في إحدى الخزانات القديمة

...

فجأة وبدون مقدمات انفجرت أسارير «فارس» وحدث ما جعل قلبه يرقص من الفرحة، إذ لمح بالصدفة خزانة في أحد الأركان، مخلوعة من الأبواب، تدلى منها إحدى الآلات الغربية لكنها مع ذلك بدت مألوفة له، ثم تمعن النظر إلى جدران الفصل ليجد علامة من تلك العلامات التي لم يفهمها من قبل في دروس البيوتوب، جلس يتفحص المكان أكثر إلى أن انتبه أنه في صف التربية الموسيقية، وهذا هو النشاط الجديد لهذا الفصل الدراسي وتلك هنالك على الجدران هي علامات من النوتة الموسيقية.



بعد برهة من الزمن، ومع اقتراب نهاية الحصة، شرعت المعلمة «دعاء» تدعو من يريد تعلم الموسيقى، ساد صمت محرج دام لدقائق قبل أن يقف حوالي ثلاثة تلاميذ يريدون التعلم، وكان «فارس» من ضمنهم، أخذت المعلمة «دعاء» تُلمي عليهم ما تحتاجه من طلبات من كراسة بشكل سطور معينة وبلون محدد، بعدها جمعت الثلاثة وبدأت معهم بالأساسيات مثل: مفتاح صول ونغمات السلم الموسيقي، ومن ثم تطرقت إلى الإيقاعات والنغمات، وهنا يحدث شيء غريب.. شيء يعرقل عملية التعلم ويُذهل «فارس».

حالما بدأت المعلمة في شرح الإيقاعات والزمن المحدد لنغمتي النوار والبلانش، وأخذت تُعد الوقت بالثواني ٢،١ وهكذا بهدوء بين كل علامة وأخرى، كان سرعان ما يتشتت ذهن «فارس» ويذهب بعيداً، لاحظت المعلمة ذلك على «فارس» وبدأت تُعيد عليهم الكرة مرة أخرى وصديقنا في نفس التشتت كان هنالك شيء ما يحول دون انتباهه ويؤثر على تركيزه في شكل جديد من البلاهة، إلى أن أفاق على صوت ضحكات أصدقائه عليه، ليضطر في النهاية إلى التظاهر بأنه يعي ما تقوله المعلمة عندما تسأله فقط حتى تنتهي هذه اللحظة المحرجة.

بعد انتهاء الحصة أخذ «فارس» يحاور نفسه:

-ماذا حدث لي هناك؟

- ما هذا الخلل غير المتوقع مثل Error 404؟



-وما كل هذا الخجل والإحراج المبالغ فيه، لماذا لم أخبر المعلمة ببساطة أنني لا أستطيع التركيز؟
ومن خلال مواقف عديدة متتالية خلال اليوم يستنتج «فارس» بشكل غير واع أنه يُعاني من الرهاب الاجتماعي، لكنه كان ينكر في نفسه قائلاً: إنه مجرد..

يوم سيئ ليس إلا.. حتمًا لا يوجد شيء كبير، مع مرور الأيام وانتظار «فارس» ليوم الإثنين من كل أسبوع، يحاول أكثر من مرة أنت يتعلم من المعلمة «دعاء» لكنها كانت دائمًا ما تهتم بالأكل وإعداد المشروبات في الفصل، دائمًا ما تنهر الأولاد ليصمتوا لمعانها المستمرة من الصداق طوال الوقت، غير أنها قد بدأت تسأم من فارس بطيء الفهم وسرعان ما تخلت عنه، الأمر الذي لم يبيأس «فارس» لأجله إذ كانت هنالك معلمة أخرى للموسيقى تُسمى «رهف» حاول فارس التقرب منها لتعطشه الشديد للعلم والمعرفة، وبالفعل ذهب إليها هو وصديقه «إدوارد» وهو أحد الثلاثة الذين أرادوا التعلم، تعاونت معهم المعلمة «رهف» وعلمتهم كيفية حمل الجيتار، وأخبرتهم بأسماء الأوتار وبعض النغمات... كانوا سعداء بحق، حتى إنهم أرادوا أخذ حصص إضافية لأن معظم الوقت كان يهدر في التنظيف والمشاحنات بين المعلمة «دعاء» وباقي التلاميذ وبالأخص «فارس» و«إدوارد» تلاميذ المعلمة «رهف»، وبشق الأنفس وبطريقة ما استطاع كل من «فارس» و«إدوارد» إقناع المعلمة رهف بحاجتهم لخصص



إضافية فوافقت على مفضل، بعدها جلس الثنائي الموسيقي يتفحصون جدول الحصص الخاص بهم؛ ليختاروا حصة تستبدل بحصة الموسيقى، لكنهم تذكروا أن معظم المعلمين غلاظ لن يسمحوا لهم بالذهاب إلى حصة أخرى بدلاً من الحصة الخاصة بهم، وحتى «إدوارد» في بادئ الأمر لم يتمكن من ذلك؛ لأنه أحياناً ما كان يستفيد من الشرح؛ مما جعل «فارس» يشعر بشيءٍ من الوحدة، إلا أنهم جلسوا مرةً أخرى واختاروا حصة التربية الدينية والتي لم يكن معلمها يشرح في أي شيء يخص المنهج الدراسي، حتى يتمكن في نهاية العام قبيل الامتحانات من طباعة ملازم صغيرة شاملة للمنهج الذي لم يتم شرحه، وبيعها وبالتالي اكتساب أموال من هذه اللعبة.

حتى إنه لا يدخل الفصل في الكثير من الأوقات وحتى إذا ما حضر يقوم بانتقاد تلاميذه المراهقين، وصفاً كيف كان زمانه مختلفاً عن زمانهم متقمصاً دور المحاضر لإحدى الدورات التدريبية للتنمية البشرية، كانت حصته مثيرة للشفقة أحياناً وللأشمئزاز أحياناً أخرى، كان يتقمص دور الطبيب البشري ويكلمهم بناءً على طلب أحد التلاميذ عن الاستمناء؛ حيث كان يمثل الجهل بعينه كان يلقنهم معلومات خاطئة ليس لها علاقة للعلم من الأساس ولا تمط للدين بأية صلة، أخذ يخبرهم أن من يستمني يذهب إلى قاع الجحيم، وأنها تهشم عظام الركبتين وتدمر القولون والكثير



من الخرافات التي تناقلتها الأجيال حول علاقتها بحبوب الشباب أو بنحافة الجسد .

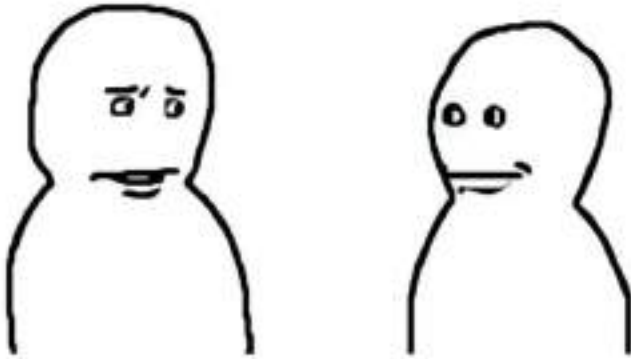
بالكاد كان يطيق «فارس» حصة الهراء تلك، فجأة نهض وخرج عن صمته ليستأذن من المعلم ليذهب إلى خارج الصف (إلى غرفة الموسيقى) وقال المعلم «لفارس» بعدما استأذنه: أتستبدل حصة التربية الدينية بحصة أخرى، هل جنت؟ إلى أين تريد أن تذهب أخبرني: رد «فارس» بعدما احمرّ وجهه: إلى غرفة التربية الموسيقية، لكن قبل أن تتغير معالم شكل المعلم إلى شيء من النرجسية والعنجهية ليرفض طلبه يتذكر «فارس» أن بحوزته جواباً من المعلمة بإمضائها لاستدعاء كل من «فارس» و«إدوارد» في أي وقت ليخرجه من جيب بنطاله الخلفي كأنه إذن من النيابة أو ورقة دبلوماسية ما، يرد المعلم في حنقة وبرود بعد تفحصه للورقة: لن تذهب إلى أي مكان كان، الآن اجلس بجانب زملاء صفك.

فجأة يطرق أحدهم باب الفصل نوك نوك كان ذلك «إدوارد» جاء ومعه إذن من رئيس المدرسين ليأخذ «فارس» في مشهد بطولي ليسير كل منهم إلى خارج الفصل، وأخيراً بعد ما تمكنوا من الذهاب إلى غرفة الموسيقى ليتعلموا شيئاً مفيداً، وحاربوا من أجل الوصول إلى المعلمة «رهف» جاءتهم الطعنة من الشخص غير المتوقع بينما وصلوا إليها قالت لهم الآتي: ماذا تريدون؟.. ألم أعلمكم أسماء الأوتار؟ وهم يرددون: بلى .



وهي تقول: ألم أعلمك كيفية حمل الجيتار خاصتكم؟
يردون: بلى.

قالت: فماذا تريدون إذاً، أظنون أنكم في دار الأوبرا؟
بعدها نظر كلٌّ من «فارس» و«إدوارد» إلى بعضهم بعضاً
في دهشة وإحباط، حتى فهموا في نهاية المطاف أنهم في
مدرسة حكومية.





محاولة أخيرة

لم يستسلم «فارس» بل وأراد أن يعلم نفسه بنفسه تارةً أخرى أو أن يجد من يعلمه أيهما أقرب «إدوارد» كان فتى يرتدي نظارة طبية، يأكل شطائره كلها ويركز في الفصل، يهوى العلم لم يكن على نفس قدر اهتمام «فارس» بالموسيقى؛ لذلك أخذ «فارس» في البحث عن شريك جديد، شريك له نفس الشغف. أخذ يبحث ويتمعن النظر بين زملائه إلى أن ساقه القدر إلى «ماجد»، «ماجد» كان شاباً مهذباً ضحوكاً يحب الموسيقى والأهم أنه كان يُحضر بحوزته شطائر التونة والخضار واللانшон والبسطرمة، مما يدل على انحداره من إحدى العائلات الثرية أو البرجوازية، فلا بد أنه قد أخذ دروساً خصوصية أو دورات في أحد نوادي الأغنياء، حري به أن يكون شاباً ميسور الحال، وبالفعل قد كان ما يتوقعه «فارس» صحيحاً، في أثناء حديثه مع «فارس» عن الموسيقى اتضح أنه بالفعل قد أخذ بعض الدورات التدريبية في المجال، لكنه ومع مرور الوقت اتضح أنه ليس بهذه المهارة التي تبدو عليه، حتى إنه بخل على «فارس» بالأساسيات. في محاولة أخيرة بائسة جمع «فارس» أصدقاءه المقربين، وكان عددهم اثنين «يوسف» و«كريم» هم أصدقاء من الإعدادية، «يوسف» كانت لديه تجربة صغيرة مع آلة العود كما



لاحظ» فارس» امتلاكه أصابع موسيقية، أما «كريم» فقد تأثر بكلام «فارس» واعتنق أفكاره بعد أن أسمعهم بعض الأغاني والكوردات العميقة، وحكى لهم عن الموسيقى والفن، وزرع فيهم حبه للموسيقى، وبعد فترة وجيزة قرروا تأسيس فرقة موسيقية بالرغم من عدم إلمامهم بقواعد وعلم الموسيقى، كما

أنهم اختاروا اسماً للفرقة «Side effect» كما اختاروا شعار الباركود الذي يوجد في أي منتج تجاري، تحمّس الشباب كان «فارس» يبدو لهم زعيماً وشخصاً جديراً بالثقة من وجهة نظرهم هو يعي ما يفعل، كما أنه يمتلك جيتاراً يستطيع اللعب عليه بشكل بسيط وبشيء من النشاز في أغلب الأوقات، كما يتمكن من لعب بعض الأغاني القصيرة الشهيرة.

حاولوا تأسيس الفرقة، ولكن سرعان ما باءت طموحاتهم بالفشل، «كريم» لم يتمكن من شراء آلة موسيقية بسبب أهله الذين أخبروه أن الموسيقى مُحرمة دينياً دون نقاش في الموضوع، وأن عليه أن يركز على دراسته، أما «يوسف» فلم يتمكن من شراء آلة أيضاً بسبب وضعه المادي. تحطمت هنا فكرة الفرقة، وأخذ «فارس» يتغيب عن الذهاب إلى المدرسة منغمساً في المواد الإباحية أكثر، هارباً في ألعاب الواقع الافتراضي إلى أن اقترب موعد الامتحانات النهائية، وقد عانى «فارس» بسبب تقصيره طوال العام من القلق المزمّن.



أحياناً في مستوى معين يكون القلق إيجابياً ومحفزاً وأحياناً ينتهي بالفزع والتوتر، كان «فارس» في هذه الدرجة الأخيرة من القلق لكنه مع ذلك حاول جاهداً التركيز قدر استطاعته والسهر لأيام متتالية، حتى تمكن في النهاية أن يجتاز السنة والنجاح فيها، كانت سنة عصيبة عليه وعلى أحلامه، جراء تلك الأحداث المتتالية، عاهد نفسه أنه سيقوم بالذاكرة أولاً بأول مع بداية العام المقبل بسبب شدة التوتر والضغط النفسي والعصبي والقلق المزمن الذي استحوذ على تفكيره.

علي كل حال فإنها السنة الثالثة والأخيرة بالثانوية العامة، ومنتوق أنها نقطة تحول في حياة أي طالب ... مرت الأيام في حزن وكاد «فارس» في تلك الفترة أن يصدق ما قاله صديق والده «بيتهوفن المجنون» بأنه ليس موسيقياً وما هو إلا فتى يهوى الفرق الموسيقية يريد التقليد والمحاكاة ليس إلا، وهنا امتدت يد العون من صديقه «يوسف» الذي أنقذ «فارس» بسبب اقتراحه الجديد.

““



يوسف واقتراح جديد

كانت حياة «فارس» المالية متدهورة جداً، كان ينفق على رغباته وملذاته أكثر دون النظر إلى احتياجاته الحقيقية، لا يعرف شيئاً عن الادخار وحتى إذا ادخر كان يشتري ما لا ينفعه كسترة أو كنزة ارتداها أحد المشاهير في أحد الأفلام أو المسلسلات، هو لا يعرف الفرق بين اللباس الرسمي وغير الرسمي، ولا عن كيفية ارتداء الملابس وفقاً للإتيكيت أو القواعد العامة، فكانت أمواله تضيع هباءً.. هنا تكمن المشكلة مع احتياجه الشديد لحضور دروس للموسيقى الباهظة الثمن بأحد المراكز التعليمية يجد نفسه عاجزاً، حتى اقترح عليه يوسف اقتراحاً وفكرة كانت جديدة كلياً بالنسبة «لفارس». «يوسف» كان فتى طيب القلب حسن الخلق جمعتها براءة الطفولة في الإعدادية التي تجردت من النقد وإطلاق الأحكام السطحية على الناس، نشأ «يوسف» في مشاكل مادية قوية مع أهله بسبب المصروف ومشاكل نتجت عن أساليب التربية الخاطئة من إهانة، سب وضرب حتى إنهم بالكاد كانوا ينفقون عليه هو وأخوته كانوا يعتبرونه شيئاً يحتاج إلى أموال وطعام فقط. في فترة الثانوية بدأ «يوسف» العمل ك «Call center»



لم يكن يعلم أن ترتيبها يصنف الثاني عالمياً بعد عمال المناجم من حيث الضغط والحمل الزائد ما يُسمى بـ"overload"، وهو أحد أهم العوامل التي تسبب عدم الرضا الوظيفي، ناهيك عن باقي العوامل الأخرى التي لمستته من مشاكله مع المدير المباشر، راتبه الزهيد ولكن كان «يوسف» قوياً عافياً رغم ما كان يجده في بيئة العمل المثيرة للشفقة، إلا أنه كان يجدها مهرباً له من المنزل ومشاكله.

في أحد الأيام اقترح «يوسف» على «فارس» أنه ليتمكن من حل جميع مشاكله، عليه البدء في البحث عن وظيفة، والبدء بتحصيل بعض الأموال بعرق يديه.

رأى «فارس» في اقتراح يوسف مركب نجاة، على الرغم من خوفه من الصعود على متنه لعدم معرفته بشيء عن الإبحار، فلم يتوظف صاحبنا في أي مكان من قبل ولم يعمل لحساب أحدهم، هذا بالإضافة إلى عدم معرفته بقوانين العمل أو عن الموارد البشرية في الشركات، أو حتى عن شيء يُسمى السيرة الذاتية أو عن المقابلة الشخصية أو عن المعلومات التي تجب عليه معرفتها قبل الشروع في العمل لدى أي مؤسسة بالإضافة إلى عدم معرفته كيفية ارتداء الملابس في مثل هذه الأماكن لم يتعلم أي شيء... لم يعلمه أحد أو يتولى مسؤولية توعيته.

بالرغم من كل هذا الجهل وافق ببلاهة وبنرجسية مضحكة قائلاً «ليوسف»: مبارك عليهم أنا في عالم الأعمال، وقام



بتحديد موعد مع صديقه ليذهبا إلى المقابلة الرسمية. تمر الأيام ويأتي موعد المقابلة المنتظر في لهفة وخوف، بدأ «فارس» يستعد ذلك اليوم، وبدأ يسأل نفسه ماذا سيخبر الناس عن خبراته العملية؛ حيث كان «فارس» في السابق يقوم بصنع أساور الصداقة؛ بالإضافة إلى بعض الأشغال اليدوية الأخرى، ليتمكن من بيعها لأصحاب المتاجر بعد انتهاء اليوم الدراسي، لكنه لم يشعر يوماً بأنه بائع أو مفاوض، كان كثيراً ما يهزم إذا بدأ المساومة على سعر معين لم يكن يُحبذ الموضوع.

ثم أخيراً فتح خزانة ملابسه، وما شاء الله معظم أو كل ملابسه من الجينز، كنزات بلا ياقة ومعظمها رياضية، لم تتضمن خزانته أية أنواع أخرى من السراويل القماشية أو حتى شبه الرسمية، أو أضعف الإيمان على قميص بولو يشفع له، بعد بحث دام لدقائق عديدة وجد أخيراً قميصاً من الكتان باللون القشدي، كان الوحيد الذي يبدو مناسباً، كما ارتدى بنظراً من الجينز الأزرق الداكن، ومن بين أحذيته الرياضية التي لا تليق ببيئة العمل ارتدى أحسنها، وأقلها اهتراء، ثم ذهب أمام الشركة ليجد «يوسف» الذي أصر على الدخول معه ليخفف عنه رهبة المرة الأولى.

كانت توقعات فارس عالية جداً عن الشركات بسبب ما سوق له في الأفلام والمسلسلات عن عالم الأعمال بالأخص شركات «وول ستريت»؛ حيث توقع أنه حالما يدخل سيُرحب



به أحدهم، وسيجد الموظفون يرتدون الملابس الرسمية، ويكون الجميع في جدية ومثالية عالية، وسيجد من يساعده حتمًا في تقديم أوراقه.

ما إن دخل «فارس» إلى الشركة أصابته الدهشة والذهول بشكل مضحك غير توقعاته تمامًا، وجد أممًا من الشباب بمختلف الأعمار، يملأون أوراقًا ما بشكل سريع موتر، كما وجد فريقًا آخر يبدو عليهم أنهم كانوا موظفين يتشاجرون بإحدى الغرف على مستحقاتهم المالية مع مديريهم. وجد بعيدًا على الحائط لافتة تميل إلى السقوط تنص على «عدم ارتداء الأساور أو الخواتم أو السلاسل أو السراويل الممزقة على الموضة»؛ فأشاح بنظره ليجد أن نسبة ٩٠٪ من الشباب الموجود قد خالفوا التعليمات المذكورة بكنزات كلها نقوش كثيرة، وقصات شعر عجيبة منفرة، فحمد ربه وشكره على حاله الذي لم يكن يعجبه بينما كان يستعد في المنزل قبل المقابلة.

فجأة وبدون سابق إنذار مُدَّت له يد بقائمة طويلة وخانات كثيرة وجداول أكثر، وقال له أحدهم: عليك بسرعة ملء هذه وتسليمها سريعًا لتأخذ دورًا.

وعلى حين غرة دُفِعَ بدفعة قوية من الخلف بكتف غليظ لشخص بدا عليه العجلة، دفعة كادت أن تطرحه أرضًا وسط الزحام وعشوائية الناس الذين أرادوا تسليم أوراقهم، والدخول قبل بعضهم في تشاحم وتنازع.



انتبه «يوسف» لما أصاب «فارس» وهمَّ بسحبه بشكلٍ سريع ومضحك ليملاً معه استمارة التقديم، وسأله هل أنت بخير؟ تذكر «فارس» لبرهته ما كان يجول في خاطره من توقعات عن الشركات، وما حدث له منذ قليل قبل أن يجيب على «يوسف» قائلاً: ولا أروع يا صديقي، وبدأ يملأ بياناته بصحبة رفيقه من بيانات شخصية، ومن ثم تطرقوا إلى الجزء الخاص بالخبرات العملية ليتركه خاليًا من الحبر ناصع البياض فارغ السطور، ثم إلى الجزء الخاص بالمهارات، ففكر في بادئ الأمر أن يكتب عن مهاراته الرائعة في العزف على الجيتار ثم فكر بعمله ليتركه فارغًا هو الآخر، في النهاية كانت ورقة ناصعة البياض كأنها مفسولة بأحد المساحيق المبيضة للملابس.

همَّ الشباب بتسليم الورقة الملعونة، ثم انتظروا دخولهم في لهفة وشوق، وشيء من القلق المصحوب بدغدغة عضلة القلب لعروق الجسد، وشيء من تدفق هرمون الأدرينالين.

أخيرًا دخل هو و«يوسف» إلى مكتب المقابلة وقد جلس شابٌ مع موظف الموارد البشرية في خضم المقابلة، واثنين آخرين في مكان الانتظار، وكلٌّ من «فارس» و«يوسف» يسترقان السمع على الأسئلة التي كانت تطرح على المتقدمين للوظيفة، والتي كانت أبسط من البساطة ذلك بحكم سن المتقدمين فهم أبناء الثامنة عشرة أو السابعة عشرة كحدٍ أقصى والذي يعتبر سن بداية العمل.

كانت الأسئلة كالتالي:



- ما اسمك؟

- أين تسكن؟

- في أي سنة دراسية أنت؟

وما هي أخبارك في اللغة الإنجليزية؟

من ثم يجاوب المتقدم سريعاً، ويقوم الموظف بتدوين بعض الملاحظات على جانب الورقة الملعونة، بشكل حازم خالٍ من العاطفة كما لو كان طبيباً نفسياً في العيادة، ثم يخبر المتقدم بالذهاب إلى الأستاذ فلان ليكمل معه باقي الإجراءات المتبعة وهكذا دواليك الحال مع باقي المتقدمين، وأخيراً نادى الموظف على «فارس» الذي وجده بالقرب منه ببضعة خطوات، لاحظ «فارس» انزعاج الموظف من ذلك مما زاده توتراً حاول جاهداً إخفاءه.

جلس «فارس» بابتسامة بلهاء وبثقة، جراء ما حدث أمامه مع باقي المتقدمين، وبدأ الموظف معه بنفس الأسئلة المعتادة عن الاسم والسن ... إلخ متطرقاً إلى سؤال «فارس» عن مستواه في اللغة الإنجليزية ليرد «فارس»

: إنه جيد ... جيد جداً ..

إلى هنا كان كل شيء يسير على ما يرام إلى أن سأله الموظف بأن يقوم بتقديم نفسه والتعبير عن حاله بالإنجليزية ليبرهن صحة كلامه، اندهش «فارس» وشعر بالغدر والتلاعب من قبل الموظف، وأخذ بضعة ثوانٍ للتعريف عن نفسه، ثم بشيء من التردد والتلعثم بعدما بدت عليه علامات القلق



نظر إلى يمينه بعيداً ليجمع أفكاره، فالتقت عيناه بـ«يوسف»
من خلف الجدران الزجاجية للمكتب الذي كان هو مذهولاً
من سكوت «فارس»، لكنه قام بتشجيعه إلى أن نطق «فارس»
أخيراً

My name is “fares” iam 18 years old mmm.....
ammmm.....mmmm

ثم قام بأخذ بضعة دقائق أخرى وقال: فقط وهذا هو كل
شيء.

زاد الموظف وأفرط في الضغط عليه، وسأله عن خلفيته
في الحياة العملية، ليجيب «فارس» وقد تغير لونه وازدادت
سرعة ضربات قلبه وتغيرت نبرة صوته بابتسامة مصطنعة
قائلاً: كنت أعمل بالأشغال اليدوية، وأقوم بتسويقها وبيعها
بنفسي.

واختار عبارات مثل ترويج وتوزيع عليها تشفع له، ثم سأله
الموظف بشيء من اللؤم: ولماذا تركتها إذا ما كانت جيدة؟ هنا
صعق «فارس» بأكبر صاعقة في تاريخ الصواعق على حين
غرة من هذا السؤال ورد قائلاً: كما تعلم إمامم ... عادي
... السوق ليس جيداً والاقتصاد يعتبر في أسوأ حالاته هذه
الفترة، وتكلم كما لو أنه خبير اقتصادي، ثم أكمل.. مم لم
تكن أحسن شيء ... وسكت بضع لحظات محرجة إلى أن
قام الموظف بوضع استمارة «فارس» جانباً على يمينه قبل أن
يقوم بتدوين بعض الملاحظات العنيفة بها، مطلقاً رأسه



معلنًا إطلاق رحمته وإنهاء الحرب وانتهاء المقابلة، وبدون
ابتسامة حتى ولو مصطنعة قال «لفارس» اترك بياناتك
سنتصل بك لاحقًا.

رفع «فارس» الراية البيضاء وهرب أخيرًا بعدما انتهت
العاصفة التي دامت لمدة ٧ دقائق فقط، كانت بالنسبة له
٧ ساعات من الإحراج والتلعثم والذهول والتعجب، ثم خرج
لـ«يوسف» الذي كان بانتظاره خلف المكتب الزجاجي، وسأله
«يوسف» مازحًا إياه: - ماذا حدث لك للتو يا صديقي؟

ليرد «فارس» ببطاء وذهولٍ ودهشةٍ:
- أصابني الخرّس.

“





الثانوية العامة: صديق جديد وفخ جديد

لم يدرك «فارس» ماذا أصابه في الفترة الأخيرة، على صعيد شخصيته التي قد بدأ يشوبها الخلل، إذ أصبح أكثر خجلاً من المعتاد خصوصاً في المناسبات الاجتماعية، من الأفراح والمآتم أو في أي تجمع عائلي في الأعياد مثلاً، صار يهرب ويهاب التحدث مع الناس، حتى إنه في أحد الأعراس لم يتمكن من تناول الغداء أمام الناس ليس لأنه لم يعرف يوماً الأكل بواسطة الشوكة والسكين ولكن شيئاً ما انتابه وزاد التوتر والقلق أمام الغرباء، كما بدأت مشيته تتغير بالتدريج إلى أن أصبحت مشية إنسان خجول، غير واثق من نفسه بغض النظر عن ملابسه، أما على الجانب الذهني فوجد نفسه وقد أصبح شديد التشتت، بطيء الاستيعاب كما كان يجد صعوبة كبيرة في الانتباه أو التركيز، وأحياناً كان يتظاهر بالاهتمام بحديث الناس عندما يضطر إلى مخاطبة أحدهم، لأنه يجد صعوبة بالغة في الاستماع وصعوبة أكبر في التحدث وخلق حوار حتى ولو كان بسيطاً.

مرت الأيام وانقضت الإجازة المدرسية سريعاً كالعادة، وبدأت رحلة ومرحلة دراسية تمثل نقطة فارقة في حياة أي



متعلم وهي: «الثانوية العامة».

لم تكن «فارس» أي طموحات للمستقبل، لم يهتم يوماً ولم يفكر ماذا سيفعل بعد انتهائه من الثانوية، لقد وجّه كل طاقته وتركيزه على تحصيل أعلى الدرجات في المواد، حتى تتسنى له فرصة دخول أي كلية يريد لها بعد ذلك بسهولة. لم تكن له اهتمامات غير الموسيقى، والتي لن تمكّنه من العمل بدوام جيد أو مريح، كان يخشى في طيات نفسه أن يصير مثل معلمي مدرسته.

لم يعرف «فارس» حتى أضعف الإيمان ما هي أسماء الكليات المتاحة أو عددها، بكل أسف لم يجلس معه أحدهم ويناقدش معه أمور الجامعة ومستقبله المنتظر، على أي حال كانت عائلته لا تريد منه إلا اجتياز هذه السنة بأقل خسائر ممكنة.

بدأت الدراسة، وبدأ «فارس» بتبني سياسة جديدة من وقع ما حدث له في العام السابق من توتر وقلق مزمن، بدأ «فارس» في المذاكرة والاهتمام ومواظبة حضور الدروس، حتى إن المعلمين قد ذهلوا من حماسه المفاجئ كان يقوم بعمل واجباته، وكان يذاكر أولاً بأول، وللمرة الأولى بدأ يشارك في مناقشات الصف، وبدأ يجاوب على أسئلة معلميه في الفصل، حتى إنه من حماسه المفرط وطاقته العالية، كان أحد المعلمين إذا ما همّ بسؤال التلاميذ عن شيء، قبل أن يرفع «فارس» يده طالباً الإجابة كان يقول: أريد إجابة هذا



السؤال من أي أحد غير «فارس» بينما كان لا يزال يكتب سؤاله على السبورة، غير معلم اللغة الفرنسية الذي أصبح على يقين بأنه إذا ما سأل أي شيء فإن أول من سيرفع يديه هو «فارس» فكان يقول له مماًزحاً عندما يجيبه على أسئلته: هديء من روعك يا فتى ما بك هذا العام اهدأ، ما سر كل هذا التفاعل؟

على صعيد الدراسة لقد بدأ «فارس» بالتغير نحو الأفضل. كان «فارس» ضعيفاً في اللغة العربية، فأقنعه «كريم» بالذهاب معه إلى معلمه «حامد» وأخذ «فارس» من الحصة الأولى يحاوره ويناقشه في قواعد اللغة، برغم صعوبة الأمر اجتماعياً ونفسياً بالنسبة له بسبب رهبه الاجتماعي إلا أنه كان مضطراً إلى أن يعوض كل ما فاتته من تقصير، ساعده المعلم «حامد» ومد له يد العون، كان بمثابة الأب لطلابه كان معلماً بحق، الأمر الذي حفّز «فارس» أكثر لهذه السنة. في أحد أيام صف اللغة العربية ذهب كل من «فارس» و«كريم» ليصلوا قبل الموعد المحدد بيضعة دقائق، فانتظروا بالخارج لبرهة من الزمن، كان «كريم» على غرار «فارس» فهو اجتماعي جداً يعرف كل تلميذ ومعلم في بالمدرسة، بالحي، بالأحياء المجاورة وبالمجرات الأخرى، يعرف كل شيء عن وزارة التربية والتعليم، كنت تسير بجانبه؛ وكأنه شخصية مشهورة أو كأنه أحد الوزراء كل ما تمشي معه في أي شارع تأتي مجموعة من الناس تسلم عليه.



وقف الشابان في انتظار موعد الدرس، بينما يتجاذبون أطراف الحديث، إذا بمجموعة كبيرة من الشباب يحيون «كريم» ويقفون معه بعدما سلموا على «فارس» الذي ابتعد عنهم قليلاً ليتملص من الحوار ورهبته منه، بعد لحظات إذ يدخل عليهم شاب يُدعى «طارق» كان شاباً طويل القامة، بشوش الوجه ضحوك ولكنه جدي في آن واحد، حسن الطالع وتظهر عليه علامات الثقة بالنفس، بدأ يسلم على الشباب بكل عفوية بعدها سلم على «فارس» ومن ثم انخرط معهم بسهولة في الحديث أخذاً دفعة الحوار، كان خفيف الظل، له حس فكاهي كبير، شعر «فارس» برغبة في معرفة هذا الشاب والحديث معه لكن خوفه من الحديث كان يؤخره ... فجأة خرج «فارس» من منطقة راحته ومن صمته المزمّن متدخلًا في حديثهم ليرد على هذا الشاب بمزحة أضحكت الجميع، من ثم بدأ «كريم» يعرف الشباب و«طارق» على «فارس».

كان حدثًا غير معتاد، كانت مرة من المرات المعدودة التي يتغلب فيها «فارس» على رهابه الاجتماعي لبعض الوقت ويتعرف على أحدهم، بعد فترة وجيزة أراد توطيد علاقته مع «طارق» وقد كان، بالفعل كنت دائماً ما تجد ثلاثتهم مجتمعين سوياً.

““



الوقوع بالفخ (بداية لعنة أخرى)

كان تأثير «طارق» و«كريم» كبيراً جداً في نفس «فارس» خصوصاً فيما يخص خفة ظلّهما كانوا يطلقون النكات، والعبارات الساخرة التي لم يفهمها «فارس» أغلب الوقت ولكنها مع ذلك كانت مُضحكة، لم يكن «طارق» و«كريم» وحدهما هكذا، بل كان الحال نفسه مع معظم مجتمع المراهقين حوله، الأمر الذي جعله يشعر بأنه غريب عنهم، لا يستطيع مواكبتهم؛ إذ تخيّل «فارس» أنه في أحد الأيام التي تغيب فيها قد تمّ توزيع منشورات تتضمن النكات والمزاح على جميع من هم في سنه.

في أحد الأيام عقب انتهاء درس اللغة العربية وفي عودة «فارس» و«كريم» إلى البيت، كان «كريم» يتطلع في هاتفه بعد أن كاد أن ينفجر ضحكاً، بعدها وجّه الهاتف إلى «فارس»، وقال له انظر إلى هذا الـ«كوميك» لم يعلم «فارس» ما يعنيه هذا المصطلح ولكنه وجد صورةً مضحكة من أحد الأفلام فضحك مجاملةً لكريم، ثم شرع «كريم» يتفحص شيئاً آخر ثم قال «لفارس» انظر لهذا الـ«ميم» شعر «فارس» أنه رجل عجوز في السبعينيات من عمره لا يفقه ما يقوله الشباب، حتى بدأ يتفحص موقع «فيس بوك» داخل الملفات



الشخصية لأصدقائه إلى أن علم مصدر كل هذه النكات، وقام بمتابعة تلك الصفحات المضحكة التي تنشرها، وبدأ مع مرور الوقت يفهم حديثهم خطوة بخطوة كما لو كان أباً يحاول مواكبة أبنائه في عصرهم المجنون، وأصبح خبيراً يعرف الفرق بين الكوميك والميم، إلا أنه قد لاحظ أنهم كثيراً ما يتكلمون عن مسلسلات أجنبية تدور حول تنانين وصراع على العرش وأشياء لم يسمع بها من قبل، كانوا يسألون بعضهم عن آخر الحلقات عن الأفلام والمسلسلات الحديثة، لم يكن «فارس» شديد الوله بالمسلسلات أو الأفلام أو بالتلفاز من الأساس؛ لأن وقته كله يستثمره في المذاكرة، إلى أن سأله أحدهم عن رأيه في مسلسل ما لم يعرف اسمه، في بادئ الأمر تظاهر «فارس» بمعرفته للمسلسل، ثم سُئل عن رأيه في إحدى حلقاته فقال: إنها كانت جيدة جداً فقط مواكباً لهم حتى لا يشعر أنه منبوذ أو غريب مرة أخرى.

كان معظم المراهقين حول «فارس» يتحدثون عن ثلاثة أمور لا رابع لهم أولاً كل حديثهم ضحك ومزاح عن المواد الدراسية والمعلمين والثانوية ثانياً كانوا يتابعون كل ما هو جديد من مسلسلات وأفلام ثالثاً والأسوأ مواعدة الشابات، وهذا فقط كان كل محور تفكيرهم واهتماماتهم.

من هنا للأسف بدأ «فارس» يتابع بعض المسلسلات التي تحدث عنها زملاؤه، أعجبهتة الحبكة والتشويق فيها، غير مدرك لما يُدس له بين المشاهد من إباحية صريحة



وواضحة أحياناً بكل تبجح، مشاهد عنيفة سادية وفحولة مصطنعة، ناهيك عن بعض الأكشن المبالغ فيه من القتل بدم بارد والاستمتاع بالدماء وتذليل الناس، بالإضافة إلى بعض الأفكار الإلحادية، والانتحارية والمثلية الجنسية للشباب على مستوى الجنس، وحب المال، والنساء، وشرب الخمر كما الماء والمخدرات كما النعناع، غالباً ما يكون البطل متعدد العلاقات مع الجنس الآخر، وبشكل أساسي مفتول العضلات، يرتدي أفخم الملابس أو يكون البطل ساخطاً على حياته الفقيرة العادية يريد أن يصبح أكثر ثراءً، وبالتالي أكثر نجاحاً وكأن المال هو معيار النجاح.

للأسف بدأ «فارس» في متابعة كل هذا ليسلي وقته، بدأ في إدمان مواقع التواصل، أحب نشر صورته وزاد تعلقه بتعليقات الناس عليها وبتفاعلات الأصدقاء، بشكل مرضي جداً حتى إنه أحياناً كان يقيّم نفسه من خلال آراء الناس، إلى أن أصبح بشكل غير واع يهتم بمظهره وملبسه بشكل غير طبيعي، وبدأ يتمرن على عضلاته أكثر، فقط ليعجب الفتيات ومن ثم بدأ يسمع الأغاني المتداولة، وكانت النتيجة أُبيحت واستُحلت في نظره الإباحية الجنسية وأصبحت شيئاً عادياً، كذلك الحال في مرافقة ومواعدة الفتيات أو تكوين صداقات مع الجنس الآخر والارتباط مع أحدهم.

هنا أصبح «فارس» فريسةً لأفكار سمّمت ولوّثت عقله جاءت من الإعلام بأفلامه ومسلسلاته ثم من أصدقائه ومن



الأغاني؛ ليشكلوا في النهاية جزءاً من وعيه، ثم والأهم أصبح جزءاً من سلوكه.

علق «فارس» بتلك الدوامة أكثر فأكثر حتى أصبح بمرور الوقت مخدراً في غفلة، لا يفكر بالماضي ولا يهتم بالمستقبل معجباً بنفسه، بملابسه، شكل عضلاته وعلاقاته الاجتماعية المزيفة.

“



أزمة حقيقية

استمرت حياة «فارس» على هذا المنوال إلى أن اقترب موعد اختبارات الثانوية العامة، كان «فارس» بعكس جميع زملائه، في حالة من الهدوء وبرودة الأعصاب (نتيجة زيادة إدمانه للإباحية وارتفاع مستويات الدوبامين في دماغه)، كان يبسط الأمور، لم يكن في حالة هلع أو ذعر مثل الجميع، كان يرى أن الأساتذة يقومون بتحويل الأوضاع على التلاميذ لإخافتهم، وبالتالي زيادة عدد التلاميذ في الدروس الخصوصية والأهم في المراجعات النهائية، التي يجنون منها الكثير من الأموال السريعة السهلة؛ نتيجة إعداد التلاميذ الضخمة، الثانوية العامة للمعلمين هي تجارة، للتلاميذ منافسة مع الذات أو الأهالي. كان مطمئناً، فقد كان يذاكر منذ بداية العام حتى وإن أهمل في مذاكرته بأخر ثلاثة شهور منها، بدأت المراجعات النهائية للمناهج وذهب جميع الأصدقاء «فارس» و«كريم» و«طارق» وأحياناً «يوسف» إلى بعض المحاضرات، دون كلل أو ملل سويًا، وبدأ الخوف يتسلل إليهم ويحركهم.

أخيرًا أعلن عن صدور جدول الامتحانات، ومن ثم بدأ السهر وشرب الشاي والمنبهات والمذاكرة حتى بزوغ ضوء الفجر.



لحسن الحظ فقد كان الامتحان لكلِّ من «فارس» و«يوسف» سويًا في نفس المكان جنبًا إلى جنب، الأمر الذي هوّن عليهم رهبة الامتحانات، تقاربت مقاعدهما في صفين متوازيين، كانت تلتقي أعينهما ببعض في ضحكات صامتة عند الإجابة على أحد الأسئلة، التي قد علم كلُّ منهما أن الآخر لا بد وحتماً سيتعطل بسببها، لكن لم يهلعوا أو يغضبوا عند التعرقل بل كانوا يأخذون الأمور بصدر رحب مُسلمين أنفسهم إلى القدر.

بعد أسابيع انقضت أيام وساعات الامتحانات الطويلة الشاقة والكل سواء التلاميذ أو الأهالي في قلق شديد، يترقبون قدوم العاصفة منتظرين ظهور النتيجة التي إما أن تملأ البيوت فرحًا، ورقصًا، وسعادة الأهالي بالأبناء أو أن تملأها حزنًا، وغمًا، ولوم الأهالي وحزنهم على الأبناء وحسرة على المصاريف المالية المدفوعة خلال السنة.

كان الكل يفكر في مستقبله، الكل يخطط ويضع خططًا بديلة حال لم يتمكن من دخول الكلية التي يهواها، أما «فارس» ما شاء الله في حالة من البرود والهدوء المستقر (أصبح يشعر بالاكْتفاء؛ نتيجة انفجار سوائل مخه بكميات كبيرة عن المستوى الطبيعي) فليس لديه هدف أو كلية يسعى للالتحاق بها، حتى إنه لم يهتم بمعرفة موعد ظهور النتيجة، وإذا ما سأله الوالدان للاطمئنان على حاله كان يرد قائلًا: إذا ظهرت النتيجة فحتماً سنعرف ذلك.





أزمة وجود

في يوم هادئ يستيقظ «فارس» على صوت مستفز لرنين جرس هاتفه؛ ليجد اتصالات من قبل أصدقائه المتلهفين لمشاركته فرحة ظهور نتيجتهم، «كريم» قد أحرز درجة جيدة جداً، أما «طارق» فقد حصل على أعلى من الدرجة التي كان يتوقعها، محققاً المعجزة، التي أدهشت كلاً من أهله ومعارفه، وتأهل لدخول كلية الهندسة، وبدأ أولى خطواته لتحقيق حلمه، أما «يوسف» حاز على درجة متوسطة ليست بالسيئة على الإطلاق.

يستفيق «فارس» ويكمل يومه بشكل عادي جداً غير عابئ بشيء، يدخل إلى الحمام ليغسل أسنانه ويتوضأ، بعدها يخرج بينما لا يزال هاتفه مستمراً في رنينه المزعج، كما بدأت تعلو أصوات الضجة بالمنازل المجاورة له، وأخيراً بدأ ينتهي صوت رنين هاتفه المزعج، ليشرع تليفون المنزل متسلماً الراية في رنين آخر، فالأقارب والمعارف يريدون أن يطمئنوا عليه.

قرر «فارس» أن يبحث عن نتيجته فقط ليتخلص من هذا الإزعاج، إلا أن والده قد سبقه بإحضارها له من شدة خوفه عليه، كانت نتيجته بمجموع ٨٤٪ بالنظر إلى درجاته على مدار الأعوام الماضية التي تراوحت بين الـ ٦٣٪ والـ ٦٨٪ فقد



أبهر «فارس» أهله وحقق شيئاً ما .

أخذ الجميع يحيي «فارس» ويهنئه كما لم يفرغ المنزل من زيارات الأقارب والجيران والأحباب، و«فارس» كالعادة لم يشعر بأي شيء، لم يشعر أنه حقق شيئاً ما هنا، لم يشعر بلذة النصر، ولا بالنجاح، لا يعلم ما السبب أهو ثقته بنفسه نتيجة اجتهاده خلال العام، وأن هذا متوقع بالنسبة له أم لأنه قد وجد نفسه بلا هدف أو طموح؟ لم يشعر بتدفق هرمونات السعادة في دماغه ولا حتى باندفاع الأدرينالين في عروقه ولا بشيء من الحماسة، وكأن هذا النجاح لم يكن كافياً لتحفيز أي شيء في نفسه، مرت الأيام بسرعة الضوء، وبدأ ظهور التنسيق الخاص بكل كلية، وهنا بدأت المشكلة الحقيقية لـ«فارس».

انتهت أجواء الاحتفالات في المنزل وظهر التنسيق واضعاً «فارس» تحت الأمر الواقع، الآن عليه اختيار الكلية المناسبة له، شعر «فارس» أنه وحيد في قلب الصحراء أو كما لو أنه في منتصف الطريق؛ إذ كان عليه ولأول مرة وبدون سابق إنذار، أن يخرج عن المسار التعليمي المرسوم له، وأن يشق طريقاً آخر بناء على اهتماماته، فإما أن يكون طريقاً يلغنه طوأل حياته أو أن يفني عمره فيما يجب.



المشكلة الحقيقية أنه لم يكن يفقه شيئاً عن الجامعات والتخصصات، فأخذت الحيرة تلعب في رأسه، إلى أن اتصلت به العمّة «نيرة» لتخبره أن ابن عمه

«بسام» سوف يلتحق بكلية تسمى «التربية الرياضية» هنا لمعت عين «فارس» بأمل جديد يتمسك به، وأخذ يبحث ويعرف أكثر عن أنشطة هذه الكلية، عن المواد التي يدرسونها وعن أقسامها عبر محرك البحث google إلى أن أدرك أنها كلية يتعلمون فيها جميع الألعاب الرياضية؛ لتؤهلهم فيما بعد للتدريب بشكل محترف في المستقبل، شعر «فارس» أنها تتلاءم معه بل شعر بأنها ملاذه الوحيد.

تمكّن «فارس» بعد معاناة من التواصل مع أحد خريجي هذه الكلية، والذين نصحوه بدورهم فور سماعهم بمجموعه بالالتحاق بأي كلية أخرى، تعجباً من إحرازه هذا المجموع الكبير ومن رغبته في الالتحاق بكلية أقل من حيث المجموع، للأسف معظم الناس كانت تفكر دائماً في الاستفادة بأقصى حد من المجموع، كما كانت الأولوية غالباً ما تكون لكليات القمة مثل: الطب والهندسة بغض النظر عن المؤهلات الشخصية أو الميول النفسية.

لم تؤثر هذه الطريقة على «فارس» الذي ازداد إصراراً وحماساً للالتحاق بتلك الكلية بل ليتفوق فيها، كما أنه تخيل لأول مرة مستقبه وهو مدرب لإحدى الصالات الرياضية أو في أحد النوادي الشهيرة من يعلم أيضاً قد يفتح مركزه



الرياضي الخاص، مسكين «فارس» لم يكن يدري أن مجتمعه ليس أرضاً خصبة صالحة للأحلام والطموحات، وأن كل شيء في لحظة قد يتحوّل إلى درب من الخيال.

في صباح اليوم التالي يستيقظ «فارس» مبكراً على غير عادته بعدما اتفق مع «بسام» وصديق آخر على الذهاب سوياً لملء أوراق الالتحاق بالكلية ودخول امتحانات اللياقة البدنية، ذهب ثلاثتهم وكانت الثقة والحماسة تتوهج من أعينهم توهجاً، بسرعة ملأوا الأوراق وتقدموا لقياس الطول والوزن والاطمئنان على صحة القلب والجهاز التنفسي، وقاموا بتبديل ملابسهم استعداداً للاختبارات، كان «باسم» ابن العم يهوى السباحة ويتقنها ويعرف كل شيء عنها من الألف للياء، أما «فارس» كان يحب الجري فلا يوجد من يضاويه في سرعته كان مثل الفهد إذا ما بدأ يعدو، واختار صديقهم الثالث رفع الأثقال، وقف كل منهم في طابور غير الآخر ناظرين إلى بعضهم بكل ثقة وأمل بأنهم على الطريق الصحيح.

في خلال انتظارهم لهذا الصف الطويل المليء بالكثير من المتقدمين الذين اختلفت أشكالهم وألوانهم وأجسادهم وأطوالهم، كان «فارس» على ثقة تامة أنه سيتمكن من التغلب عليهم جميعاً، كيف لا فهو رياضي الجسد منذ نعومة أظافره وأنامله، حتى إنه يستطيع أن يجتاز تلك الاختبارات بأقل مجهود، وأخذ يتخيل المحاضرات والأصدقاء الذين سيتعرف



عليهم وتخيل شكله بعد خمس أو ست سنوات وهو مدرب شخصي ناجح، وله النادي الخاص به، وغاص في أحلام اليقظة إلى أن انتبه إلى اقتراب دوره في الصف، كان معظم الشباب يتجاوزون الاختبارات دون أي مشاكل، حتى إن أحد الشباب بالرغم من عدم تناسب جسده نهائيًا مع الاختبارات فقد كان مليء الجسد ثقيل الوزن لا يمت إلى الرياضة بصلة لم يتمكن من الجري لبضعة أميال صغيرة، وحاز على المركز الأخير إلا أنه تمكن من النجاح بعدما استعطف المدرب بإخباره عن مجموعته البسيط الذي أحرزه في الثانوية بدرجة ٦٠٪ وبعد أن قام بالدعاء له قائلاً: ليكرمك الله ويطيل لنا من عمرك أيها المدرب، حتى قام المدرب بتدوين شيء ما في ورقته وقال له مازحًا: ٦٠٪ إذا ها؟ ادخل إلى الصف المجاور.. معلناً انضمام الفتى إليه.

الآن جاء دور «فارس» الذي كان مستعداً للركض في الملعب بسرعته الخارقة للطبيعة، إلا أن المدرب أخبره بأن يقف الآن فقط بجانب الصف، تعجب «فارس» ألهذه الدرجة تبدو عليه اللياقة البدنية، بعدها جاءت الصدمة أخبره المدرب بأن ملفه لم يأت بعد وأنه لن يتمكن أصلاً من تأدية الاختبار.

ذهب «فارس» مستثبطاً غاضباً إلى الإدارة ليستفسر منهم عن السبب، فأخبروه أن السبب في عدم قبوله يرجع إلى «قصر قامته» لم يستوعب «فارس» الأمر محدثاً ضجة بداخل المكان مطالباً بإعادة قياس وزنه وطوله مرة أخرى، وبعد إعادة عملية القياس كانت النتيجة نفسها بدون أي



خطأً أو ظلم في كل مرة، كان القياس يُظهر أنه قصير مقارنة بالقياس الملائم بالنسبة لهم، اندهش «فارس» جراء كل ذلك فاتحاً فمه على مصراعيه، متعجباً لما يسمعه منهم، ومصدوماً مما شاهده في الاختبارات من تساهل مع من لا يستحق فعلاً من السمين، إلى الهزيل، إلى الضعيف والذين فقط أجبرهم مجموعهم في الالتحاق بتلك الكلية ليس حباً أو رغبة فيها، ولكن لعدم وجود أية خيارات أخرى أمامهم على غراره.

لم يستوعب «فارس» الموضوع برمته، وكانت تلك هي الصدمة الأولى له في مجتمعه، حيث يُعطي النجاح لمن لا يرغب فيه أو يستحقه، أخذ يسأل نفسه في حنقة وألم كيف يرفضوني مع إمكانياتي ولياقتي ومجموعي؟ كيف يقبلون هؤلاء غير الجديرين، فقط لأنهم أطول مني ببضعة سنتيمترات؟ كيف لهم عدم الأخذ في الاعتبار اختياري لهذه الكلية لشغفي وحبّي فيها ما يترتب عليه أنني كنت سأبدع وأتفوق بها؟

أخذ يتأمل وضعه الذي صار عليه بينما كان جالساً في انتظار كلٍّ من «باسم» ابن العم وصديقه لينتهوا من اختباراتهم، ليجدهم بعد دقائق أثقلت من أحمال قلبه، وقد عادوا بوجه حزين مكسورٍ الخاطر تم رفضهم أيضاً.



على قارعة الطريق جلس ثلاثتهم وقد شعروا بأنهم
مستبعدون، مهمشون من الحياة، حانقون على الاختبارات،
الكلية، القوانين وكل شيء، تتقد في قلوبهم نار الخيبة
والضياع، لم يعلموا بعد أن للقدر يداً ودوراً كبيراً في هذا
الأمر، وأن هذا الفشل يحمل في طياته النجاح الحقيقي.

““



الأمر الواقع

(مرحلة ما قبل التفكير والاعتراف بوجود مشكلة)

ساق القدر «فارس» إلى كلية لا يهواها، فبدأ ينسى أحلامه التي سرعان ما بدأت وتحطمت بين ليلة وضحاها، كانت الكلية تُساهم في تشتيت ذهنه بشكل أو بآخر لتأخذه بعيداً عن حزنه، على الرغم من أنه كان يكرهها بأقسامها وموادها، إلا أنه حاول القبول بالأمر الواقع والتميز فيها عن سائر الطلاب، يتمتع «فارس» بكل من الإرادة والعزيمة حتى إنه بالفعل من البداية كان أول من يدخل إلى المدرج وكان يجلس بالصفوف الأمامية، حتى يتسنى له التركيز في المحاضرات والشرح وخلال الأسبوع الأول، كان قد تعرف على القليل من الشباب، والكثير من الشابات لكنه لم يشعر بأي انجذاب نحوهم بالمرّة، إذ كانت الشوارب الخفيفة تعلو أفواههم ذكوراً وإناثاً مهملين شكلهم الخارجي ونظافتهم الشخصية بشكل كبير، كان كل شيء بالنسبة لهم يتمحور حول المذاكرة والحضور.

لم يرتح «فارس» كان يفتقد إلى أصدقائه «كريم» و«طارق»، كان يفتقد إلى أيام الثانوية وحصص اللغة العربية، وإلى مزاحهم ومجالستهم في تلك الأيام الخوالي، فلقد جاءت



الحياة الجامعية لتضع المسافات بينهم، ولكن مع ذلك لم تنقطع الصلة بينهم أبداً.

مرت بضعة أسابيع وبدأ «فارس» في البحث عن رفقة في الصفوف الوسطى من المدرج، بدلاً من مجموعة شوارب الصفوف الأمامية، أراد البحث عن مجموعة جديدة لا تملك إناتها الشوارب ورفقة تعرف أي أمور أخرى غير الدراسة والمذاكرة، وبالفعل بفضل كاريزمتها التي كانت تُضفي له انطباعاً ممتازاً؛ فكان من السهل عليه الدخول بعد فترة وجيزة وسط مجموعة أخرى (مجموعة الصفوف الوسطى). كان «فارس» للأسف في البداية يُصادق الفتيات بسهولة جداً دون حتى أن يتحدث إليهم أو أن يُبادر كان ساحراً بهدوئه، أحياناً ما كان يجاملهم ويُبخ بعض الكلام المعسول ليشعرهم بطريقة غير مباشرة بإعجابه تجاههم، هو نفسه أحياناً ما كان يصدق كذبتة، ولكن ما تلبث أن تمر فترة قصيرة جداً حتى تتبخر هذه الطاقة، وتختفي الشرارات التي انفجرت في سماء الحب، وتطير كل الفراشات بعيداً ليكتشف بعد ذلك أنهم كانوا مجرد أشخاص عاديين.

لا تعرف لما كان «فارس» يقوم بتلك الأمور وما سر هذه الفجوة بداخله التي دائماً ما شعر بأنه يريد ملئها بأحدهم، وهو ما يزال يافعاً في الـ ١٨ من عمره، على كل فبعد فترة من جراء هذه السياسة التي بدأت في خلق العداء بينه وبين الناس كان عليه أن يجد مجموعة بديلة، وبالفعل بعد عدة



شهور من البحث وجلوسه بجانب القليل من الشباب؛ بهدف تمضية الوقت معهم فقط لا غير، بدأت بعض الفتيات في التعرف عليه الأمر الذي لم يعد جديداً على «فارس» فيبدو أن غموضه وصمته بعكس ما يتوقع قد وجده البعض مُثيراً للفضول.

انجرف «فارس» مع مجموعة جديدة مبتعداً بذلك عن باقي زملائه لكن ليس عن محاضراته، مما كان يُساعده على تحصيل جميع دروسه ومساعدة بعض الفتيات في الشرح. مرت الشهور الأولى واقتربت الامتحانات، وتفوق «فارس» على نفسه حتى أصبح معتاداً على المذاكرة والتفوق، من حسن الحظ أن «فارس» كان يعلم حدوده فلم تكن تربيته مع ذلك سيئة إلى هذا الحد، فمنذ الطفولة لم يتخلف أبداً عن أداء الصلاة والفرائض بالرغم من هشاشة خلفيته الدينية كان لا يزال يؤدي فروضه، ويواظب على الصيام مع كل هذا. بعد فترة دخل عضو جديد إلى المجموعة «منى» رغم وجود الأجل منها إلا أن «فارس» منذ التقت أعينهما ببعض قد وجد نفسه واقعاً في شباكها، معجباً بها بقوة ومن دون أي سبب (في علم النفس يرجع السبب إلى إعجاب الأشخاص ببعضهم من الوهلة الأولى إلى معرفة أشخاص يشبهونهم في مرحلة ما من الماضي قد يكون أحد الجيران، أو أحد معلمي المدرسة أيام الطفولة، حبيب قديم أو أحد المعارف)، لم يكن «فارس» يدر أن «منى» كانت تشبه في اللاوعي الخاص به



حبه الأول ابنة الجيران، التي كانت تشبه إحدى الممثلات في السينما، فكان من الطبيعي جداً أن ينجذب إلى منى التي كانت تشبههم جميعاً.

بعد فترة سريعة ازدادت معرفتهم ببعض وقصرت بينهم المسافات، كانوا دائماً مع بعضهم في المحاضرات، والحرم الجامعي ... إلى أن اقترب موعد امتحانات الفصل الدراسي الثاني ليقرب بينهما أكثر وأكثر، ليساعدها «فارس» في تحصيل بعض المواد العملية الصعبة مهتماً بها معطيها لجزء كبير من وقته الخاص، واجتازوا الامتحانات وكالعادة نجح «فارس».

بعد فترة تملكت العاطفة من «فارس» وكانت في أوجها، وكانت «منى» كثيراً ما تتعمد ذكر تقدم العرسان لخطبتها أمام الجميع ليظن «فارس» الأبله بأنها تراوغه فقط ليبوح لها بمشاعره، حتى قرر الاعتراف لها بإمكانون صدره لكنها رفضته بسبب وضعه المادي بشكل مباشر، وفي الحقيقة لم يكن بالنسبة لها أكثر من صديق تذاكر معه في أيام الامتحانات.

بعد شهور تمت خطبة «منى» من شاب ثلاثيني، أصلع، ببطن كبيرة، وجيب أكبر يحوي على الكثير من المال ... لم يتأثر «فارس» بذلك لأنه تأكد من استغلالها له في الفترة الأخيرة فقط حتى تتمكن من النجاح في المواد العملية الصعبة، غير ذلك لقد وجد مشاعره تغيرت وبردت خلال الفترة الأخيرة تجاهها ربما لأنه كان قد التقى بـ«سارة».



توقف لحظة عزيز القارئ الذي لا أعلمه مرحباً، سأكون متعجباً الآن إذا لم تجد أن البطل شخصية مقرزة، أقل من العادية بل سيئة أيضاً، هاهها.. آسف لكن تذكر لقد أخبرتك بذلك في الصفحات الأولى من الكتاب. تذكر هذه ليست إلا البداية لشيء جميل كما أنه لا يزال مراهقاً يخطئ ويصيب (إلا أن بطلنا لا يصيب في شيء إلى الآن) تذكر بأنه «لا يوجد نور بدون ظلام»..

سارة تعتبر آخر محطات الجزء الأول؛ ليبدأ الجزء الأكثر إثارة، ترقب صفعات القدر القاسية التي ستتيقه من غفلته وتعيده إلى رشده فقط انتظر ...

““



«سارة»

كانت «سارة» بالنسبة إلى «فارس» أجمل فتاة في الكلية كانت فتاة مشاكسة، خفيفة الظل كانت ذا رأي وشخصية حقيقية، كانت مجتهدة يعم رأسها بالكثير من الأفكار (ليس بشكل مبالغ فيه كأعضاء مجموعة الشوارب) كانت بشوشة، اجتماعية بدرجة تفوق «فارس».

كانت جميلة بشكل استثنائي، قصيرة القامة لذلك غالباً ما كانت تلتحف بالملابس السوداء العملية التي تليق بدرجة معيدة بالكلية لا بطالبة، كما كانت تضع أعلى عينيها سحابة سوداء داكنة من الـ Eye liner الذي كان يجعلها دائماً تبدو وكأنها القمر المتوهج وسط سواد وعممة السماء من حوله، كانت ضحوكة جداً، لها روح طيبة، لديها مخزون عالٍ من الفكاهة والضحك اللامتناهي، مع شيء من الرزانة التي تصدم الناس بها في بعض الأحيان، كانت لا تستطيع نطق حرف (الراء) مما أضاف لها طريقة مختلفة في الحديث تجعل المستمع متشوقاً لسماع وقع كلماتها في جملة أو كلمة معينة.

كانت مختلفة عن باقي الطلاب لم تكن تحضر محاضراتها فحسب بل كانت تشترك في العديد من الأنشطة الأخرى، كانت «سارة» تعيش في الكلية ليست مجرد شخص موجود



كانت تحب أن تكون شخصاً ذا أثر هذا هو منهجها في الحياة. كثرت مغامرات «فارس» مع «سارة» في مختلف الأنشطة خارج المحاضرات وزادت معرفته بأقسام وعلوم لم تكن ممتعة له على صعيد التجديد فحسب، بل على المستوى العلمي أيضاً، بدأ يتعلم عن فن التسويق، والعلاقات العامة، والموارد البشرية وغيرها.. إلخ من الأقسام التي كان يجهل عنها الكثير.

أصبحت «سارة» دليله في معرفة عالم الكلية كان يرى معها العالم من حوله بمنظور آخر، كانت تأخذه بعيداً إلى عالم غير مألوف إلى عالم غير روتيني، كانت له خير صديق ومستمع، كما أنها كانت متفوقة عليه في الدراسة الأمر الذي جعلهما يتنافسان في دخول مجالات مختلفة مما جعلهما بعد فترة مثقلين بالعديد من المهارات، الخبرات والشهادات العلمية بمختلف الأقسام.

كانوا مثل البزلاء والجزر جمعهما نفس الذوق في الملابس، وحتى نفس الذوق الموسيقي كانا مثل «فورست جامب» و«جيني» من فيلم فورست جامب «لتوم هانكس» لكن يشاء القدر أن لا تتقاطع طرقهما في الحب أبداً، مرة تجدهم مع بعضهما، مرة أحدهما مع شخص آخر هناك دائماً مسألة وخطب في التوقيت، بالتأكيد شعر «فارس» بمشاعر مختلفة وجياشة وحقيقية تجاه «سارة» ربما عرف الحب لأول مرة، غير مدرك أن الوقت لم يكن مناسباً لتلك المشاعر أو لهذا



الطريق سواء له أو لها، بل حتى إلى معظم من الشباب من أعمارهم فهم لازالوا في رحلتهم ليتعرفوا على أنفسهم، لم تكتمل شخصياتهم بعد، لم يجدوا الغرض الحقيقي بعد من تواجدهما في هذه الدنيا.

باختصار سريع للعلاقات في هذا السن ما يحدث هو أن أحد الطرفين غالباً ما يكون قد تعرض لصدمات أو مشاكل أسرية في التربية مثلاً فكلنا معرضون لذلك طيلة حياتنا ولكن أحياناً قد تتراكم بعض المشاكل النفسية التي قد تتحول مع الوقت إلى أمراض نفسية قد يتعايش المرء معها أو قد تكون بعض العقد النفسية أو قد تخلف أثراً في طريقة التفكير حول موضوع ما بشكل غير واعي، تجدها أحياناً ظاهرة وأحياناً غير ظاهرة حتى للشخص نفسه حتى تبدأ بالظهور أثناء العلاقة إلى أن يقوم في معظم الحالات الشخص بعمل ما يسمى بعملية «الإسقاط» على الطرف الآخر الذي يمكننا اعتباره سليماً إلى حد ما، حتى يصدم فيه هذا الطرف السليم وينفصلوا جراء ذلك بعدما قد تأثر الطرف الثاني الذي تم إسقاط هذه المشاكل عليه، ومن ثم بعد فترة يقوم الطرف الثاني المتأثر بمواعدة طرف جديد، وبدون وعي قد يقوم بالتصرف معه كما كان يتصرف معه الطرف الأول في البداية أو حتى قد تكون له مشاكله الخاصة التي لم تشرع في الظهور بعد ليقوم بإسقاط كل ما هو قديم وجديد على الطرف الآخر وهكذا دواليك... لذلك تجد



الأديان تضع أخلاقيات وضوابط في المعاملة بين الجنسين، لتجنب الشباب الكثير من الوقوع في الشبهات، والكثير من الآلام والمعاناة ويضيع الوقت والعمر.

قرر «فارس» أن يبوح بما داخل قلبه لـ«سارة» إلا أنها لم ترد الدخول معه في علاقة، لأنها كانت ترى أنهما أصدقاء فحسب، حزن «فارس» من رد فعلها وبالطبع بالتدرج لم تعد علاقتهما كسابق عهدهما لم يتمكننا من المحافظة على صداقتهما وتفرقا، واعتبر «فارس» في طيات نفسه أن هذا قد حدث لينتقم القدر لكل من قام بكسر خاطرهن من قبل، لكنه لم يكن يدرك أنه ما يزال في مرحلة الإحماء التي تسبق (صفعات القدر)، والتي سيكون على أثرها التغيير المنتظر.

““



تهانينا ...

الآن لنشجعك بتشجيعة حماسية... هاي هوو
مبروووك لقد وصلت إلى الجزء الثاني
لقد انتهيت للتو أكثر من نصف الكتاب.



الجزء الثاني

(أن تخرج منها..)

-بداية التحرر والتغيير الحقيقي.



الصفحة الأولى «رنا» العرافة / مرحلة الصدمة

بعد بدء عام دراسي جديد، وعودة كل شيء إلى شكله الروتيني، نفس المعيدين، المدرجات، مواعيد المحاضرات ونفس الأصدقاء كان يجلس «فارس» برفقة أصدقائه لتظهر بينهم شخصية جديدة تُدعى «رنا» التي دخلت وسطهم بكل ترحيب وقبول، وقد مرت الأيام حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من المجموعة.

«رنا» شخصية قوية جداً، تتميز بنظرة حادة جريئة، صاحبة رأي ثابت متينة إلى حد ما وغامضة.

في أحد الأيام المملة أراد الأصدقاء أن يكسروا الملل بينما ينتظرون بدء إحدى المحاضرات، فأرادت «رنا» أن تلعب معهم لعبة تحليل الشخصية، وأخذت تحلل وتستكشف كل واحد منهم على حدة بشكل يكاد يكون أقرب إلى الحقيقة، كما لو أنها عرافة متمكنة ومتمرسة، تعلم جميع خباياهم وأسرارهم، أذهلت الجميع بما كشفت عنهم بشكل ملفت وساخر، إلى أن جاء دور «فارس»

نظرت مطولاً بعين «فارس» حتى أربكته ثم أخذت شهيقاً كبيراً ثم سكتت لبرهة من الزمن في محاولة للتركيز على «فارس» قبل أن تبدأ في كشف كل ما هو مستور في شخصيته،



بدأت بسؤاله: لما تفعل كل ذلك؟

فنظر لها في تعجب متسائلاً أفعل ماذا؟

قالت له بوجه جاد خالٍ من المشاعر: لماذا دائماً ما تركض

خلف الفتيات؟

- لماذا تحاول أن تظهر بشخصية غير شخصيتك؟ وتحاول أن تكون الشاب الأكثر فكاهاً وكاريزماً وأنت أصلاً لا تحوي شيئاً بداخلك أنت خاوٍ من الداخل كما أنك تفتقد إلى الكثير من النضج والحزم، وأكملت: ألا تزال تظن نفسك على شيء؟ هل تعتقد أنك بشكلك وحرصك على مظهرك وبجلوسك جوارنا تكون الشاب الأفضل؟

وبدأت تجلده بكل ما هو صحيح وفي نهاية الحديث سكت الجميع تأثراً بـ«فارس» الذي بدت علامات الغضب والذهول تظهر بداخل عينيه وكامل تعبيرات وجهه، إلى أن سكتت «رنا» فجأة لشعورها أنها قد تجاوزت حدودها ثم بعد لحظات من الصمت بدأ «فارس» بنبرة صوت حانقة يدافع عن نفسه، وينكر لكل كلمة قالتها «رنا» بشكل عصبي جداً ومتهكم ثم غادر مبتعداً عن الجميع، مما أثبت للجميع صحة كلام «رنا». بعد انتهاء هذا اليوم الغريب المشؤوم أخيراً، ذهب «فارس» إلى منزله، كان التفكير يأكل من رأسه في هذا الوقت بل ويفتك به، وبدأ يسأل نفسه:

-هل كان كلام «رنا» صحيحاً؟

-هل أنا فعلاً هذا الشخص؟



-هل من المعقول أن أكون بهذه السذاجة؟

-هل لتلك الدرجة شخصيتي فارغة لا تحمل أي شيء؟
أخذته الحديث مع نفسه طويلاً حول هذه الأسئلة في بادئ الأمر كان ينكرها حتى اعترف في نفسه التي بين جنبيه أن «رنا» كانت على حق في كل كلمة قالتها.

وما كانت هذه سوى الصفة الأولى التي شعر على أثرها أنه قد تعرى وتجرد من كل شيء أمام أعين الجميع، بل شعر بأنه هو ذلك الشخص الموصوف في كلام «رنا»، وهو ما كان الأمر الأسوأ من التعري أمام الجميع، واعترف أنه ليس إلا أبلهًا بلا عقل جَلَّ ما يشغله هو الفتيات، المال، المزاح والنقود.

““



الصفحة الثانية

لم يمر سوى يومين فقط على «فارس» ولأول مرة تغيب عن محاضراته بعد انتظام وانضباط دام من فترة الثانوية بدون أي انقطاع، بالرغم من سوء حاله وصدمة النفسية إلا أنه لم يرد أن يفصح لأهله عن شيء، بالطبع قد لاحظوا أن شيئاً ما يجري معه لما به من مسحة حزن، وانطوائه الشديد على نفسه في هذه الفترة بشكل أكثر من المعتاد، على أي حال لم تكن علاقته مع أهله بأحسن حال.

عاد «فارس» بعد أيام إلى الجامعة، وعند دخوله المدرج شعر برغبة ملحة في البقاء بمفرده جراء ما فعلته «رنا»، لكن باقي المجموعة لاحظوا ذلك وفي حركة جميلة منهم أحضروه وأجبروه على الجلوس برفقتهم، وقاموا بتلطيف الأجواء وسرعان ما بادرت «رنا» بالاعتذار أمام الجميع، ليقبل «فارس» اعتذارها حتى لا يطول الموضوع ففي حقيقة الأمر هي محقة في كل كلمة قالتها.

مرت الأيام ليلاحظ «فارس» شيئاً لم يلحظه من قبل لقد صار أكثر انطواءً وصمتاً مع أنه في كثير من الأحيان أراد أن يشارك ويتحدث إلا أنه لم يجد أي موضوع بداخل رأسه الذي تأكد مع الوقت بأنه فارغ بحق، مقارنةً بزملائه



والأهم أنه بدأ يتذكر أنه من بداية فترة معرفته بزملائه في الكلية، لم يكن أبداً الشخص المبادر بالحديث، أو من يأخذ دفعة الحوار حتى ولو بشكل طبيعي، بل بالعكس كان يُبدي صمتاً، ويخفي خجلاً حتى إنه أحياناً لم يكن يضع الكلمات في محلها الصحيح.

في الفترة الأخيرة كان «فارس» يجلس بين زملائه في صمت مبهم وخجل رهيب وملحوظ، أصبح شخصاً مستقبلاً فقط ينتظر منهم بدء الحديث حتى إنه لم يكن له أي رأي في موضوعات ونقاشاتهم، حاضراً بينهم بجسد بلا رأس، معظم الأيام كانوا يتسامرون ويمزحون مع بعضهم وهو كان يتألم واضعاً رأسه على المقعد في تصنع للإرهاق والتعب ليتجنب عبء المشاركة والحديث الذي أصبح لا يُطاق أبداً، وأكثر ما زاد الطين بلة .. إنه رأى نظرات الشماتة والتشفي من زملاء الصفوف الأولى (مجموعة الشوارب) والمجموعة الوسطى الذين قد أذاهم من قبل في العام السابق، لما بدا عليه من ضعف وانكسار، لكن أكثر ما فتك به أن بعضاً من مجموعة الشباب الذين يجالسهم ممن أكنوا له بعض الغيرة والضغينة قد لاحظوا ما أصابه مستغلين ذلك ضده، فكان ما إذا أهم بالمشاركة والبدء في الحديث أخيراً سرعان ما انتقضوه، والأسوأ كانوا يتمرون عليه وعلى كآبته بشكل سخيف جداً حتى إذا ظهرت عليه علامات الحزن أو الغضب، سرعان ما يقلبون عليه الطاولة بحجة أنهم يمزحون معه لا أكثر،



متعجبين من ردة فعله الطبيعية.

لم يرتح «فارس» من هذا الوضع، وشعر بأنه سجين لعزلة وصمته ورهابه الاجتماعي الذي زادت حدته على غير المعتاد ... على الجانب الآخر لاحظ «فارس» أن أصدقاءه الحقيقيين «طارق» و«كريم» قد بدأوا بالانسحاب تدريجياً من حياته، «طارق» تشغله كلية الهندسة وتستحوذ جزءاً كبيراً من وقته، أما «كريم» فقد تعرف على صديق جديد من الكلية يدعى «رامي» والذي كان يقطن معه في نفس الحي ونفس الشارع، حتى إن أبراجهما الفلكية متوافقة بل حتى إن تاريخ ميلادهما متوافق في نفس اليوم وكأنهم توأم.

كان «فارس» يلتمس العذر «لطارق» كما أنه لم يشعر بالغيرة من «رامي» فبعد أن تعرف عليه أحبه في حقيقة الأمر هو شخصية جيدة جداً، ولكن لاحظ «فارس» أن «كريم» قد بدأ يبتعد عنه وينخرط مع «رامي» أكثر، كانوا كثيراً ما يمضون الوقت برفقة بعضهما دون سؤاله أن يأتي معهم، وتطور الأمر وصار «كريم» يتجاهل المكالمات الهاتفية «لفارس» حتى إذا اتصل به أكثر من مرة لم يعاود الاتصال به، مع أن «فارس» كان في أمس الحاجة له في ذلك الوقت، إلا أنه كان يلتمس له الأعذار ويقول في نفسه عله يكون نائماً أو في أحد الدروس، حتى إذا ما تحدثوا أخيراً واقترح «فارس» أن يخرجوا سوياً للترفيه عن أنفسهم كان «كريم» سرعان ما يؤجل ويقوم بالتسويف مستخدماً أعذاراً غير جدية حتى



إنها بمرور الوقت صارت متكررة.

استاء «فارس» من الوضع وأخذ يعاتب صديقه بالطبع لأنه كان لا يزال يكن له معزة في قلبه فكيف لا وهو صديق الطفولة، إلا أن «كريم» كان يعتذر منه بشيء من البرود واللامبالاة، وبعدها يستمر في تجاهله لـ«فارس» مرة أخرى، حتى إن «رامي» نفسه أراد أن يصلح الوضع بينهما، ولكن «كريم» ظل على نفس الحال.

وتستمر الحياة في مفاجأة «فارس» ليدخل الكلية في صباح أحد الأيام باحثاً عن زملائه في المدرج ليتفاجأ بتغييرهم لمكانهم المعتاد ليعرف بعد ذلك من أحد الشباب أنهم انقسموا وتفرقوا، وأن جزءاً منهم أرادوا أن لا يجلسوا مع الشباب مرة أخرى بسبب بعض المشاكل والتجاوزات التي تعرضت لها إحدى الفتيات في أثناء غياب «فارس»، الذي شعر بالدهشة فذهب ليستفسر منهم عما يدور عليه يستطيع الإصلاح بينهم، فأخبروه أنه لا علاقة له بالأمر وأنهم فقط أرادوا الابتعاد عن أحدهم وقرروا أنه من الآن فصاعداً سيجلسون بعيداً عنهم.

ذهل «فارس» من هذه المفاجأة ومن تلك اللكنة والأسلوب الغريب، كانت صدمة منهم بالنسبة له في مثل هذا التوقيت لها دور في زعزعة نفسه، حاول «فارس» أن يبدو متماسكاً ويتحلى باللباقة وقام بالاعتذار منهم إذا كان قد أساء إلى أحدهم يوماً دون أن يقصد، وبكل هدوء وبرودة أعصاب أنهى



الحديث وهو بعيداً عنهم وقام بتوذيهم لهم، ومن ثم أدار لهم ظهره وتركهم جميعاً ومشى بقلب محطم تثقله هموم الدنيا، لا يدري لماذا انقلبوا عليه وأخذوه بذنب البقية، ليعتقد في نهاية المطاف أنهم سئموا منه ومن كآبته وصمته ورهبه الاجتماعي الذي قد صار ملازماً له بشكل كبير مؤخرًا، كما شعر بأنه غير مرغوب فيه، وكانت تلك هي الصفة الثانية له.

““



الصفحة الثالثة (الضربة القاضية)

ازدادت الأجواء توترًا بالنسبة لـ«فارس» فمن جهة زملاء الكلية لا يريدونه، ومن جهة أخرى أصدقاء العُمر «كريم» و«طارق» تقريباً قاموا بنبذه، فأراد من شدة حزنه ويأسه أن يعلم ما وضعه بينهم مستغلاً ظهور جائحة فيروس كورونا في الاختفاء والابتعاد عنهم فترة، لينظر هل سيتمسكون به؟ فربما كان شخصاً ثقیلاً على قلوبهم، أو أنه لم يكن صديقاً لهم من البداية.

مرت الأيام التي أصبحت أسابيع ثم أربعة شهور تقريباً وهو ينتظر ويتألم وحده في صمت لا يتكلم مع أحد في منزله أو بالخارج في الجامعة شعر كما لو أن قلبه تحول إلى جمرة من النار التي تقبع في صدره، أربعة شهور ولم يكثرث لأمره أحد ألبتة، بل لم يلحظ أحد غيابه سوى «طارق» الذي كان يظهر ويختفي مثل الشبح بين الحين والآخر بسبب صعوبة كليته، وأحياناً «يوسف» صديق الطفولة بل وأن «رامي» كان قليلاً ما يسأل عليه أما «كريم» صديق العمر فكأنه كان في عالم آخر.



بعد تلقي «فارس» لكل هذه الصدمات دفعة واحدة متتالية، انقلبت حياته رأساً على عقب بدأت نسبة حضوره للمحاضرات تقل، كما أنه لم يستطع الدراسة بكفاءة وفاعلية كسابق عهده، فكانت النتيجة أن رسب في إحدى المواد وبالكاد اجتاز الباقي بتقدير ضعيف، أصبح كسولاً لم يعد يريد الاستيقاظ أصلاً في كل صباح لعدم رؤيته لأي هدف في حياته، كان يذهب للمحاضرات يوماً أو يومين فقط خلال الأسبوع فقط ليرضي ضميره، ومع الوقت لم يعد يستطيع الحضور ورؤية أصدقائه القدامى أمامه بين الحين والآخر بعيداً عنه، حتى إنه كان إذا ما أبصرهم تعمّد الجلوس بالصف الأمامي لهم ببضعة أقدام، متصنعاً الكبرياء واللامبالاة.

كان يقضي اليوم كله وحيداً حانياً رأسه خلال المحاضرات غير مكترث لما يُشرح، خائر القوى، منطفئاً من الحماس لم يعد قادراً على تكوين أي صداقات جديدة، حتى إنه حاول الرجوع إلى بعض زملائه فوجدهم يبتعدون عنه؛ لأنه كان بدوره قد ابتعد عنهم في يوم من الأيام.

تبدل حاله من شخص شبه اجتماعي إلى حد ما، إلى شخص يحب الناس التعرف إليه، إلى شخص يبتعد الجميع عنه كأنه مصاب بالطاعون.

كان هناك جزء من ضميره يرغمه على الحضور، ولكن في طياته كان يحضر فقط حتى يُظهر لزملائه الذين تركوه بأنه ما زال واقفاً على قدميه، في عناد وnergسية عند مصادفتهم



له في إحدى المحاضرات، حتى ينتهي الوقت ليذهب بعيداً للجلوس بمفرده وحيداً في إحدى زوايا الحرم الجامعي، وقد ظهرت عليه علامات الحزن والاكتئاب بشكل جلي.

كان يقبع في عزلته القهرية ويراقب جميع أصدقائه وجميع الطلاب من حوله يتحركون هنا وهناك يمزحون، يتضحكون والكل يعيش حياته بينما هو فقط وحيداً بعدما استفحلت به الأيام وأفجعت الوحدة فؤاده ليسأل نفسه:

- ما خطبي؟

- لما لم أعد أستطيع التحدث؟

متي تمكنت من ذلك أصلاً؟

مستتجاً أن دماغه الفارغ هو سبب عدم قدرته على الحديث؟ ومن أين سيكون له رأي وشخصية؟ وجل ما يعرفه هو المزاح ومتابعة الأفلام ومشاهدة الإباحية، إلى أن بدأ يلتمس طرف الخيط متسائلاً:

- لما ازداد خجلي وانطوائي حتى بينما كنت بين أصدقائي؟

- لماذا أجد صعوبة الدنيا في التحدث والتعبير حتى ولو

عن أبسط الأشياء؟

- لماذا أصبحت أهاب النظر في عيون الناس أحياناً بشكل

مباشر؟

- ما سبب تغير نبرة صوتي عند الحديث مع أحد جديد؟

وأخذ يسأل نفسه لماذا .. لماذا؟؟



مضى «فارس» أيامه في كآبة وعُزلة ووحدرة لم يختبرها في حياته من قبل، حيث شعر كما لو أنه رجل عجوز قد توفت زوجته وتركه أبناءه ليعيش وحيداً وانقطع عن شجرة الحياة، وكانت هذه هي الصفة الثالثة له، في خضم هذه الفاجعة الأمر المثير للشفقة أنه كان ينتظر أن تعود الصلة في يوم ما بينه وبين أصدقائه يوماً، لكن شيئاً لم يحدث فبدأ يشفق على حاله، حتى انتابه الغضب وقام بحذف جميع أرقامهم من على هاتفه، كما قام بإلغاء الصداقة بينه وبينهم على مواقع التواصل، وما جعله يستشيط غيظاً أنهم لم يلحظوا غيابه إلا بعدما قام بحذفهم بل وقاموا بقلب الطاولة عليه وشعروا بأنه تغير بدون أي سبب واضح، حتى «طارق» تدخل محاولاً الصلح بينهما لكن بالطبع بعد كل هذه الوحدة والمعاناة النفسية التي عانى «فارس» منها صارت العلاقات شيئاً معقداً بالنسبة له تحوّل إلى شخص قاس جامد، لا يرجوا من أي أحد كان البقاء، فعلى كلٍ لم يتبقّ له أي شيء أو شخص عزيز عليه ليخسره.



الكاتب:

-إذا هل بدأت تتعاطف مع البطل؟ أرى أنك بدأت تشعر بالحزن والأسى عليه، ألم تكن تكرهه منذ عدة فصول فقط؟
يا صديقي عجيبة هي التراجيديا...على أي حال دعنا نكمل.

إلى قرابة العام عاش «فارس» يتحطم ويتهشم في صمتٍ ووحدة، لا يعلم أحد عنه شيئاً الأمر الذي جعله يتخذ من الكتب أصدقاء له، فبدأ يقرأ ويتعلم كيف يتخلص من خجله وعن فن الخطابة وعن الرهاب الاجتماعي وكيفية علاجه، حتى إنه بدأ يقرأ في مختلف العلوم والمعارف الأخرى من كتب عن التنمية البشرية والاقتصاد والفلك أحياناً ولغة الجسد والسياسة، وبدأ دماغه ينهم من بحر العلم ما فاتته، قرأ عن نظريات التوازن في الحياة، حتى صار يوازن بين كل من عقله وجسده وماله والعاطفة والدين بشكل بسيط ومع الوقت أصبح يمتلك روتيناً صباحياً، يستيقظ باكراً يركض حوالي ٨ كيلو يعود ليتغذى جيداً، ثم يقرأ عدداً محدداً من صفحات كتاب ما ثم يذاكر محاضراته من الكتب عوضاً عن الحضور بالكلية.

مع الوقت تقرب «فارس» من أخيه الأصغر الذي كان كثيراً ما أهمله في صغره بسبب انشغاله بحياته الجامعية التافهة، وبدأ يتعرف عليه من جديد لكن شيئاً ما لم يكن على ما يرام، بالرغم من اهتمامه بنفسه وعقله وجسده وعلاقته مع ربه



... إلا أنه كان لا يزال يعاني من ألم الوحدة المزمنة، مع أنه قد طور من وضعه إلى حد ما ولكنه لا يزال وحيداً، مُلئت رأسه بالكثير من العلم والمواضيع الجدلية التي تثير النقاش، وتمكنه من التحدث في أي موضوع إلا أن رهابه الاجتماعي لازال ملاصقاً له، ومع امتلاء رأسه بكميات من الدوبامين عندما يركض في كل صباح وانفجار جميع هرمونات السعادة في رأسه، حتى إنك لو رأيته وهو يركض في ذلك الوقت وجدته مبتسماً ضاحكاً تكاد أسنانه تظهر من شدة الفرح، ولكن إلى ما أن ينتهي من الركض والتمارين سرعان ما يتسلل إليه شبح الوحدة مرة أخرى، كان دائماً ما يشعر بالاحتياج والعوز الشديد إلى الناس لكنه لم يكن مستعداً بعد لتكوين أي صداقات أو معارف جديدة.

بدأ «فارس» يشعر بالأسف على حاله ويفكر، يسأل نفسه - لماذا عندما بدأت أتحسن لا ألبث أن أجد نفسي وحيداً غير مرئي؟ بينما عندما كنت تافهاً يملأ الفراغ حياتي كان الجميع حولي؟

““



تهانينا ...

الآن لنقرع طبول الحماس من أجلك دوم دوم
مبروووك وصلت تَوَا إلى الجزء العلمي والأهم في الكتاب.
لقد شارفت على الانتهاء.

(الجزء العلمي)



العنصر الأول (P) (الإباحية)

في صباح أحد الأيام عاد «فارس» إلى المنزل بعدما كان يركض باكراً على كورنيش النيل كالعادة حزيناً لا يفهم ما خطبه، عاد سريعاً وأعد وجبة من الشوفان والحليب بسرعة حتى يبدأ باقي يومه بينما كان يأكل قرر أن يشاهد التلفاز فقط لبضعة دقائق، وبينما يقرب بين قنوات الأفلام ليجد بالصدفة رجلاً يقول:- الإباحية هي مخدرات هذا العصر... فأعاد القناة مسرعاً في فضول، حيث أضاف هذا الرجل - الإباحية هي المخدرات التي يتقبلها المجتمع، في بادئ الأمر كانت الخمر وأصبح لها متاجر ومحلات لبيعها في كل مكان رغم خطورتها وحرمانها، كذلك هو الحال مع المواد الإباحية التي أصبح الجميع يتحدث عنها بدون خجل أو حياء، كما أنها لم تعد كما كانت في السابق في شكل مجلات كلنا نعرف اسمها أو أفلام يصعب الحصول عليها، أصبحت الآن في متناول اليد وفي أي وقت وبسرية تامة، والأهم أنها مجانية ثم أضاف:



- الإباحية والمخدرات هما وجهان لعملة واحدة بل قد تكون الإباحية أشد خطورة لسهولة توافرها، ومن ثم بدأ يتطرق إلى أضرارها النفسية والعضوية والاجتماعية، وأخذ يتحدث عن الأعراض الجانبية التي تظهر للمدمن بعد فترة قد تكون سنين أو فقط مجرد شهور عدة، حيث يختلف الأمر من شخص لآخر، حيث إن تركيبة دماغ مدمن الإباحية تتشابه كثيراً مع دماغ مدمن المخدرات والكحوليات ثم بدأ يبرهن على صحة كلامه وتحدى كل مدمن على الإقلاع أو حتى التفكير فيه بمجرد أن يذكر الأحد عشر ضرراً التي تحدثهم الإباحية لمشاهديها، مسمىً ذلك ب(تحدي الأحد عشر ضرراً) وبدأ يعد على أصابع يديه أمام المشاهدين:

أولاً: «تعمل الإباحية على إنقاص مستويات الدوبامين مع الوقت»:

حيث تنتج عن مشاهدة المرئيات الجنسية إفراز كميات مهولة من الدوبامين التي تزيد عن المستوى الطبيعي لها بالدماغ في وقت قصير جداً، ومع الانغماس أكثر في هذه المواد يبدأ الدماغ بالتعود على تلك الكمية، مما يُقلل مستقبلات الدوبامين في عقولنا، وبالتالي يحتاج المدمن إلى كمية أكبر من الدوبامين ليشعر بنفس الحماس مرة أخرى، ف يبدأ



بالمشاهدة بدلاً من ١٥ دقيقة مثلاً إلى ٦٠ دقيقة، ويقضي وقتاً أطول وأطول في عملية التصعيد تلك، تماماً كما هو حال مدمن المخدرات، الدوبامين هو المسئول عن «الرغبة» في المتعة والحياة بشكل عام فالإنسان الطبيعي ينشغل بالسعي إلى النجاح أو تأمين بقائه، بدلاً من حالة الرضا والقناعة التي يكون فيها عند مشاهدة الإباحية التي تخدره بمعنى الكلمة، مادة الدوبامين هي تجعلك ترغب في تحقيق شيء ما كما أنها المسئولة عن حركات الجسد، الانتباه، الذاكرة والعواطف وأي تلاعب في مستوياتها؛ فهو عبث خطير بكل معنى الكلمة.

ثانياً: نقص القدرة على التركيز:

حيث أكد الباحثون أن الانغماس في المرئيات الإباحية من شأنها أن تحدث ضموراً في المادة الرمادية بمناطق التركيز من قشرة الدماغ المتخصصة بالوظائف الإدراكية.

ثالثاً: تسبب لبعض المدمنين عليها القلق والتوتر

الاجتماعي وضعف الثقة بالنفس:

حيث تؤثر على مناطق معينة بالدماغ بشكل يُعيد تشكيل الدوائر العصبية بها، في عدم وجود الإباحية فهذه المناطق تكون مخصصة لبث الشعور بأهمية العلاقات الاجتماعية، بالتالي فمرتادي الإباحية بالطبع يفضلون عدم التواصل مع



أناس حقيقيين وتكوين علاقات قد تنتهي في أي وقت فهذا النوع من العلاقات لا يبدو مغرياً لهم، مقارنة بالشخصيات المصطنعة على الإنترنت، لذلك تزداد رغبة المقلعين عن الإباحية في التواصل الفعال مع الناس، ويزيد إحساسهم بقيمتهم، إذ يشعرون بشيء من البهجة والانفتاح كما تزداد قدرتهم على التواصل مع الناس عيناً بعين.

رابعاً: الاكتئاب وانخفاض مستوى الطاقة:

نتيجة التلاعب بمستويات الدوبامين الذي هو مسئول عن التحفيز، والدافع للقيام بعمل شيء ما.

خامساً: تسبب العجز الجنسي:

حتى إذا كنت بصحة جيدة أثناء مشاهدة الإباحية، لكن قد يتبدل الحال معك في أثناء ممارسة الجنس الحقيقي، فقد لا تجد زوجتك مغرية كفاية بالنسبة لك، كما أنك قد تعاني من سرعة أو بطء في القذف، ربما لن تصل إلى ذروة الشبق المطلوبة مما يهدم علاقتك بشريك حياتك.

سادساً: اكتساب أذواق جنسية غير مألوفة:

نتيجة الملل من كل قديم.

ستبدأ حتماً بالبحث عن أشياء أكثر فحشاً وعنفاً، وربما أكثر شذوذاً مما يشعرك بشعور وهمي بأن ميولك الجنسية قد تغيرت.



سابعاً: إضراب العقل وانخفاض معدل الذكاء:

فكثيراً ما يروي المتعافون عن شعورهم بأنهم قد صاروا أكثر ذكاءً وحكمةً من ذي قبل، وأكثر هدوءاً وثقةً مقارنةً بأيام الإدمان.

ثامناً: ضعف الحماس

تاسعاً: نقص الثقة بالنفس:

تبين أن الإباحية تجعل الذكور والإناث أكثر هشاشة وضعفاً تجاه الجنس الآخر لعدم رضاهم عن أجسادهم وقوتهم، مقارنةً بممثلي الإباحية أصحاب الأجساد المصطنعة، بل قد يخضع البعض منهم لعمليات جراحية.

عاشراً: بطء التفكير:

والذي يرجع إلى التلاعب في مستويات الدوبامين وتحفيزه للدماغ عن المستوى غير الطبيعي لتتأثر كل من وظائف الذاكرة والقدرة على التركيز، يروي أحد المتعافين أنهم في أغلب الأوقات كانوا يشعرون ببلادة في عقولهم وكثرة معدلات النسيان، والبطء الشديد في التركيز واتخاذ القرارات أما بعد التعافي فالأمر مختلف تماماً.

وأخيراً: الرهاب الاجتماعي:

حيث تجعلك غير قادر على مخاطبة الجماهير، وأحياناً صعوبة ورهبة من مخاطبة الجنس الآخر، كما أنها تجعلك أكثر عرضة للانطوائية، زيادة الخجل وقلة الثقة بالنفس.



مضت الحلقة بعد ساعتين إلا ربع تقريباً جلس فيهم «فارس» ينصت ثم انتهت لتتركه مذهولاً متعجباً مما وقع على مسامعه مندهشاً ومصدوماً؛ حيث إنه قد وجد معظم أو كل الأضرار الاجتماعية والنفسية قد مسته بشكل كبير، في بادئ الأمر لم يستوعب كل هذه المعلومات، ثم أخذ يتحسر على نفسه وأخذ يسأل:- لما لم يحدثه أحد من أهله عن أضرار هذه المواد بدلاً من الحديث فقط عن حرمانيتها فقط، إذ بدا أنها محرمة الآن لسبب ما؟

وأخذ يتذكر أول مرة شاهد فيها هذه المقاطع مع أصدقائه في الفصل، حيث كان الجميع يتحدث عنها بكل جهل وبلاهة كأنها شيء جيد، وليست ابتلاء سقط على رؤوسهم متمازحين بألفاظ وإشارات جنسية، كما تذكر أنه مع كل أسف في أي موقف صعب يوم سيئ، كان دائماً ما يلجأ إلى الإباحية كمخرج ومنتفس له، حيث كانت مسكناً للآلام الماضي ومخاوف المستقبل.

وفهم أخيراً السبب وراء الخجل والرهاب الاجتماعي الذي أصابه، كما أنه أشفق على جميع زملائه وأصدقائه في فترة المراهقة حيث كان الكل تقريباً مدمنين على هذه المواد، الأمر الذي جعله يسأل:

-هل الجميع إذاً قد وقعوا في هذا الفخ؟

-هل عميت أبصار الجميع؟



أم أن العلة بداخلي أنا وحدي والأضرار لم تضرب أحدًا
غيري؟

إلى أن تذكر من الحلقة أن الأضرار يمكن أن يختلف
تأثيرها من شخص لآخر لكنها ليست إلا مسألة وقت، أخذ
يتساءل ويستنتج ويستوعب الأمر لما تبقى من اليوم، في
حسرة وندم، إلى أن قرر أن يجرب الإقلاع عن تلك المواد،
ففي النهاية ليس لديه ما يخسره إذا لم يفلح الأمر.

““



محاولة الخروج (مرحلة التفكير)

كعادة أي مدمن في بداية رحلة التعافي كان «فارس» ينكر إدمانه غير مقتنع، يظن بأنه قادر بكل سهولة على الإقلاع متى أراد.

بكل أسف كانت أيام «فارس» لا تسير على ما يرام، نعم هو كان يستيقظ بكل حماس في الصباح الباكر؛ لينجز مهامه وروتينه من الركض ثم العودة للمنزل ودراسة أي مادة تقع في طريقه، ومن ثم قراءة حوالي ١٠ صفحات من أي كتاب يُثير اهتمامه، كل شيء لديه بمنوال ثابت، وهذا كان بالأمر الجيد بالنسبة له، ولكن لو حسبنا كل هذا الروتين سنجد أنه يستغرق حوالي ٦/٥ ساعات فقط من اليوم، بيد أن كل ذلك كان يُنجز في فترة الصباح، ثم باقي اليوم كان يجلس وحيداً مترقباً مرور الوقت ليأتي اليوم الذي يليه وهكذا... الأمر الذي كان يترك له وقت فراغ كبير جداً، وهو ما ليس جيداً أبداً بالنسبة للتعافي.

لم يتشارك مع أحد أوجاعه أو وحدته، لا أحد يعلم شيئاً عن رحلة تعافيه ولا حتى أهله فقد ربوه على الصلاة والصوم والفرائض، متمين بذلك رسالتهم مطمئنين عليه.

بعد فترة من العناد والإنكار بدأ «فارس» يصارع وحش



الإدمان الذي وجد أن الإقلاع عنه شيء في منتهى الصعوبة، فكما قال أحد المتعافين: (إن الدخول في فخ الإباحية كوخزة الإبرة، والخروج منه كنزع سنارة من فم السمكة) غير ذلك كانت الوحدة تفتك به كان لا يزال يتحدث مع «طارق» أحياناً عندما كان يتفرغ من دراسته في الإجازة و«يوسف» أيضاً ولكن لم تكن علاقته معه في أقوى حالاتها بعد، حيث كان «يوسف» كثيراً ما يقضي معظم وقته في العمل يكد ويؤمن حياته بعد التخرج، كما كان يغلب عليه طابع الكآبة، معذور فقد مرّ بالكثير في صغره ولكن الشيء الذي حاز انتباه «فارس» أنه كانت لـ«يوسف» محاولات كثيرة مع الإباحية ولكن كانت تنتهي في كل مرة بانتكاسة، ما جعل «فارس» يعاقر في هذا الطريق وحده.

يُوضع «فارس» مع الأيام تحت ألم نفسي كبير، فهو لا يتمكن من البقاء بالمنزل ويود الهرب من غرفته من أي فرصة للوقوع في انتكاسة، وفي نفس الوقت يرغب بالخروج إلى الشارع إلا أنه لا يجد من يخرج برفقته ويأخذ بيديه.

مرحلة التفكير هي الأصعب على أي مدمن، فهو يعترف بالمشكلة ويبدأ بالمبادرة والتحرك، لكن ما يعرقل تلك العملية هو عدم وجود دافع قوي وحقيقي؛ إذ يخاف المريض خلال هذه المرحلة من التغيير لأنه ينطوي على ترك كل قديم من عادات، والقلق من الحياة الجديدة ومن تكوين عادات بديلة، فيأخذ المريض الكثير من الوقت قبل أن يصل إلى مرحلة



التغيير، كما يمكن أن يتعرض للكثير من الانتكاسات والرجوع إلى الإدمان ثم الإقلاع عنه عدة مرات، فهو مثل كلب تجربة بافلوف الذي كان العالم يقوم برن الجرس له وتقديم الطعام في نفس الوقت ومع التكرار والتعود، صار مجرد سماع صوت الجرس فقط أمراً يُسيل من لعاب الكلب.

هكذا حال مُدمن الإباحية مجرد رؤيته لتلك المشاهد يظن عقله أنها علاقة حقيقية، كما أن الإباحية يمكن أن تكون الأصعب لأنها تقريباً موجودة في كل شيء من حولنا، في الهاتف الخليوي بنقرة تتمكن من زيارة أي موقع، مقاطع الريلز على انستغرام الشبه عارية، وبكل أسف أحياناً في التلفاز وإن لم تكن تعرياً بالكامل، فدائماً هي تلميحات وإشارات جنسية، بل وحتى في الشوارع التي ملئت بالتبرج والملابس القصيرة مكشوفة الصدر سواء في المواصلات أو مكان العمل (الأمر الذي لا يخالف الدين والأخلاقيات فقط بل يخالف كلاً من إتيكيت العمل المهني والآداب العامة) .

في البداية جاهد «فارس» في نفسه وحاول المقاومة لكن وحدته المفجعة كانت حائلاً له دون مقاومة الإغراءات والمثيرات التي كان يتعرض لها إما بالكلية، الشارع أو الهاتف. بعد مضي حوالي شهرين من الإقلاع، عاد مرة أخرى لينتكس في سويغات وحزن أكبر على نفسه؛ لأنه كان قد بدأ يلتمس شيئاً من آثار التغيير سواء على الصعيد الذهني والعقلي؛ فصار يستطيع تذكر الأسماء والأشخاص أسرع كما



صار أكثر تركيزاً، انتباهاً ونشاطاً أو على الصعيد النفسي؛
فلقد صار أقل خجلاً وأكثر جرأة كما قد بدأت تزداد ثقته
بنفسه.

شعر «فارس» بالندم لانتكاسته التي هدمت ودمرت جميع
ما قد بدأ يستشعره، لكن في نفس الوقت كان يتمتع بروح
إيجابية، فسأل نفسه:

لقد كنت طوال حياتي أشاهد الإباحية بشكل مستمر،
أما الآن فقد انقطعت عنها لمدة ليست سيئة، وبالتأكيد فإن
عقلي ارتاح فيها عن ذي قبل، فحتى إن انتكست ما المشكلة
من أن أحاول مرة أخرى؟

وعاود «فارس» المحاولة مرة أخرى وسرعان ما انتكس
من جديد بعد حوالي شهر واحد، وسأل لعابه مع أول مثير
يتعرض له.



«الملاك المُنقذ»

بعد بذل العديد من المحاولات في مقاومة «فارس» للإباحية والتي لم يعرف عنها أي شخص بدأ الاكتتاب يتملك منه، وشعر بحزن عميق يعتري قلبه حتى إن هرمونات السعادة لم تعد تؤولي ثمارها معه أثناء ركضه كل صباح، بل إنه كان يشعر بوحدة عارمة عندما يرى حفنة من الشباب يركضون ويتنافسون سوياً بينما يركض هو وحيداً ككلب ضال، أحياناً كان يستغل هدوء الشوارع ويصرخ بصوته عالياً؛ ليخرج ما يعتريه من تعب كان حزيناً مكسوراً.

جاء هذه المعاناة قرر «فارس» أخيراً الذهاب إلى معالج نفسي، رغم عدم اقتناعه في بادئ الأمر، بعد ذلك تغير قراره بسبب زيادة المدة التي شعر فيها بالوحدة، والتي زادت من حدة وقوة درجة اكتتابه، وهي ما أجبرته في النهاية على اتخاذ القرار.

اتصل «فارس» بطبيب قد بحث عنه عبر محرك جوجل كان بالقرب من منطقة سكنه، وقام بحجز موعد بعد أسبوع تقريباً حتى يقلع مرة أخرى قبل البدء في رحلة العلاج، أراد أن يذهب إلى الطبيب وقد أتم شيئاً ما.



جاء الموعد المحدد، وللأسف لم يكن باليوم الأفضل «لفارس» الذي بدوره عاد لينتكس مرة أخرى قبل الموعد بساعات وجيزة حتى إنه كاد أن لا يذهب، إلا أن شيئاً بداخله لم يتحمل استمرارية وجوده ببركة الوحل تلك، واستعان بالله وتوكل عليه وهمّ بالذهاب.

بعد محاولات «فارس» من تأخيره لنفسه في الطريق، وبعد تعمد ركوب أتوبيس النقل العام البطيء، وأخذه الطريق الأكثر ازدحاماً حتى يفوت الموعد، وبينما كان يحاول التفكير في الرجوع إلى المنزل فجأة وجد نفسه أمام العنوان الصحيح أمام الأمر الواقع ونقطة التغيير المحتملة.

دخل إلى العيادة وبعين ثاقبة أخذ يتفحص المكان، كان «فارس» كثير القراءة في علم النفس الإكلينيكي، فهو مطلع بكل ما يخص العيادات النفسية من بداية شكل المكان وطريقة الاستقبال وديكور وتنسيق الغرف إلى أساليب العلاج نفسها، ونبذة صغيرة عن بعض الأمراض النفسية، لم يخبر أحداً قط عن ذهابه إلى هذا العنوان ولم يترك أي خبر، كان يفكر في احتمالية اختطافه بعد أن يتم وضع مخدر أو منوم في المشروب أو الشاي من ثم سرقة أعضائه وبيعها، كان واسع الخيال.

بعد نصف ساعة من الدراما والخيال بينما كان يفكر مع نفسه في انتظار انتهاء جلسة أحد المرضى مع الطبيب، دقت عقارب الساعة معلنة دخول ساعة جديدة؛ ليخرج المريض



الذي كان بالداخل، ثم تدخل الممرضة إلى الطبيب، وتخرج بعد دقائق لتشير لـ«فارس» بالدخول.

نهض الطبيب مستقبلاً «فارس» في حفاوة (يبدو أن لديه عددًا قليلاً من المرضى، قالها «فارس» في نفسه) بدأ الطبيب بطرح بعض الأسئلة العادية عن الاسم، السن، العنوان... إلخ، كما سأله عن إذا ما كان قد ذهب إلى طبيب نفسي من قبل أم أن هذه هي المرة الأولى؟ وسأله أخيراً السؤال الذي استعد له «فارس» جيداً، إلا أنه لم يتمكن مع ذلك من الإجابة بسهولة كما توقع ...

ما الذي حملك على أن تأتي إلى هنا؟

سكت «فارس» لبرهة حتى بدأ يحكي للطبيب بعد مشقة كبيرة عن كل شيء بشأن الكلية وزملائه وبعُد أصدقائه عنه، وشعوره بالوحدة المفجعة وبالحنن والاكتئاب.

انتهى «فارس» من إفراغ ما في جعبته، وسرد كل شيء على الطبيب دون أي نقص، سكت الطبيب وقد أدرك من حديث «فارس» أنه مدمن على الإباحية من كثرة ما ذكرها على لسانه في أكثر من موضع، كما أدرك بأنه ما يزال في مرحلة التفكير وهو الآن ينكر حقيقة إدمانه لعدم حصوله على الدافع (المعلومات الكافية بشأن الإدمان)، كما لاحظ بأنه مصاب باكتئاب من الدرجة المتوسطة جراء وحدته واختفاء أصدقائه وزملائه.



دَوْن الطيب بخفة شيئاً ما على الورق أمامه، ثم نظر إلى «فارس» في عينيه ليسأله: لماذا تحتاج إلى الناس بهذه الدرجة؟

قال «فارس» في تعجب من السؤال: لأن الإنسان كما ذكر «ابن خلدون» هو كائن اجتماعي بطبعه.

رد الطيب: الإنسان كائن اجتماعي بطبعه هذا صحيح، والناس مهمون بكل تأكيد ولكن فقدانهم لا يعطل الحياة أبداً ... انظر إلى شخص فقد كل أحبائه بالتأكد سيحزن ولكن بمرور الوقت سوف يتقبل فقدانهم كما سيستمر ويتأقلم فيما بعد والحياة ستستمر بطريقة ما، ثم أكمل عليك أن تتذكر دائماً أن كثيراً من العظماء كانوا في بداية الطريق وحدهم وأن هذا هو حال بعض المبدعين والناجحين ... كان هذا الكلام يؤثر على «فارس» بشكل إيجابي وأخذ ينصت إلى كل كلام الطيب إلى أن سأله: أخبرني ما هو شكل يومك يا «فارس»؟

رد «فارس»: أستيقظ مبكراً في الصباح، أركض، أذاكر، أحضر بعض المحاضرات وأقرأ قليلاً بعض الصفحات ولا شيء لباقي اليوم، هنا أشار له الطيب أن الوقت المتبقي له من يومه إما أن يكون نعمة يحسد عليها أو أن يكون نقمة ولعنة عليه، ولكي ينجوا من الإباحية أو من أي عادة سيئة أولاً عليه أن يشغل وقته أكثر كما نصحه بأخذ بعض الحبوب المضادة للاكتئاب وأهم شيء هو أن يقرأ عن الإباحية أكثر



حتى يعرف عدوه ويتمكن من التغلب عليه، وفجأة دقت عقارب الساعة لتعلن وقت انتهاء الجلسة التي دامت لحوالي ٥٠ دقيقة شعر فيها فارس بالراحة والسكينة كحال معظم المرضى؛ إذ يشعرون برضا كبير بالأخص في أول جلسة علاج لهم غير مدركين أنه، وفي حقيقة الأمر جلّ ما يحتاجونه هو شخص ينصت ويستمع إليهم دون أن يصدر عليهم أي أحكام.

“



مرحلة الفعل

اقتنع «فارس» أخيراً بأنه مُدمن على الإباحية واقتنع بأضرارها عليه، وأخذ ينظف مختلف وسائل التواصل، والتي احتوت على مقاطع فيديو مغرية ومقاطع ريلز، كما قام بإلغاء متابعة الكثير من المشاهير وأخذ بتنظيف كل مقاطع العري من على هاتفه، ومحا سجل البحث على جوجل ونظف البيئة من حوله قدر المستطاع متذكراً الحكمة التي تقول: ((إذا قُدمت لك سلعة مجانية، فاعلم أنك أنت السلعة)).

بعد أسابيع قليلة بدأ «فارس» الاستمرار في جدولته اليومي والالتزام بأخذ الدواء بدأ رويداً رويداً الخروج من اكتابه بشكل ملحوظ كما شعر بتحسن كبير حتى إنه بدأ بأخذ دورات تدريبية في مجال دراسته، وفجأة ولأول مرة انتبه لمستقبله، فلم يتبق الكثير على تخرجه من الكلية، درجاته جيدة لكن هذا هو حال الجميع، أصبحت لديه رغبة عارمة في التميز؛ فبدأ ببعض الدورات التدريبية التي أثقلت من وزنه على المستوى الأكاديمي، والأهم أنها قامت بملء وقت فراغه، وتدرجياً تعرف على باقي زملائه في هذه الدورة وأخذ يتفاعل معهم، الأمر الذي زاده ثقة بنفسه إذ كان في بداية الدورة خجولاً وصامتاً، ولكن بمرور الوقت انجرف معهم واستثمر وقته، لكن سرعان ما انتهت هذه الدورة



بانتهاؤ أموال الوالد، وبدأ شبح الوحدة والفراغ يلوح في الأفق استعداداً للعودة مرة أخرى، إلا أن فارسنا لم يستسلم وشق طريقاً آخر للتعلم، وحاول لأول مرة استغلال الإنترنت بشكل صحيح؛ حيث اشترك في الكثير من الدورات التدريبية المعتمدة على المنصات التعليمية التي وفرت له وقتاً، مجهوداً وأموالاً طائلة.

بعد حوالي أربعة أو خمسة أشهر استمر فيهم على هذا المنوال، وقد انقطع فيهم عن الجميع ليركز على نفسه فقط؛ فلم يوجد أحد على أي حال سوى «يوسف» الذي أخبره «فارس» بأنه سينعزل على نفسه لبعض الوقت و«طارق» الذي كان يظهر بين الحين والآخر كعادته بسبب الكلية، بدأت مستويات الدوبامين في مخ «فارس» تعود إلى شكلها الطبيعي، وبدأ يركز أكثر وأكثر على مستقبله بعدما كان يعيش اليوم بيومه، بدأ يتلذذ بإنجازاته وشهاداته وخبراته التي اكتسبها في وقت قصير، حاز على حوالي ثلاثين شهادة في مختلف المجالات التي أثقلت مهاراته، وزادت من قيمته كطالب وموظف كفاء للمستقبل، كما أنه قرأ عشرات الكتب المختلفة التي فتحت عيونه على العالم.

وأخيراً بعد انتهاء هذه الفترة بصعوبة استطاع أن يكسر ويحطم أول قيد من قيود المصنوفة، وأكثرها فتكاً وانتشاراً حول العالم، ارتطمت به الطاقة والنشاط وبدأ يشعر؛ وكأن عقله قد بدأ يعمل من جديد، وكان أحدهم قد نفخ من عليه



غبار السنين، ومن هنا بدأت تتفكك باقي عناصر المصفوفة
بسرعة كحبات العقد المنثور كما سنرى.

“

القيد الثاني (M) (مرحلة التغيير)

أود أن نفتح هذا الفصل سوياً بجملة للدكتور والمحاضر العالمي «إبراهيم الفقي»؛ حيث قال -رحمة الله عليه-: ((كُن حريصاً كل الحرص على اختيار الأفكار قبل أن تضعها في ذهنك، ففتحول إلى تفكير، ثم إلى تركيز، ثم أحاسيس، ثم سلوك ونتائج)).

بعد تحطيم «فارس» عنصر الإباحية شعر بنشاط عقلي رائع، وبتركيز عال، كما لو كانت تقبع بداخله طاقة دفينة، بدأ بملاحظة الناس والأشياء من حوله مستكشفاً العالم بشغف وحماس، كما لو أنه تمت إعادة ولادته من جديد.

في أيام التعافي بدأ صاحبنا يلاحظ ويقرأ بعين قوية ما بين السطور لاحظ أن الإباحية لم تكن وحدها ما يروج لنا طيلة الوقت، سواء في وسائل التواصل، أو وسائل الإعلام من الأفلام والمسلسلات، بل لاحظ وجود العديد من الأفكار المغلوطة المشوهة التي يتم ترويجها؛ حيث وجد أن حوالي ٩٠٪ من الأفلام أو الأعمال الدرامية/السينمائية حتماً ما تتضمن أحد هذه العناصر الآتية:



- أولاً: الإباحية أو التلميحات الجنسية من ألفاظ أو كلمات: (وقد تحدثنا عنها بشكل كاف).

- ثانياً: السعي وراء المال / أفكار خاطئة عن الحب / المثلية الجنسية.

- ثالثاً: القتل والعنف والعلاقات غير المشروعة.

- رابعاً: تعدد الآلهة.

ولنبداً الحديث عن القتل والعنف: إذ لاحظ «فارس» وجودهما بمعظم الأعمال بشكل أو بآخر؛ خاصة بعدما قد قرأ أكثر وأكثر عن الاشتراكية، والشيوعية، والصهيونية، والنازية والملوخية.... إلخ وقد ذهلاً جداً بعدما لاحظ تسرب حوالي ٩٥% من الأفكار والمبادئ الشيوعية خلال الأفلام والإعلانات التي نشاهدها يومياً في حياتنا بشكل طبيعي دون أن ندري.

الشيوعية: (هي مبدأ إلحادي ينكر وجود الله ويرفض الاعتراف بالأديان، كما أنها تحفز الشباب على الحروب والعنف والدمار) في محاولة لخلق شباب ثوريين لا يوجد في حساباتهم أي قيم، أو أخلاق، أو دين وأولى خطواتهم ومبادئهم لتحقيق ذلك، والذي بالفعل قد بدأ يتحقق في كثير من الشباب حولنا وكما أشار إليها كتاب «أحجار على رقعة الشطرنج» تكون أولاً:

من خلال تفكيك الرابطة الأسرية، وتمرد الأولاد على الآباء بجعلهم ينظرون إليهم كجيل رجعي متخلف ومتأخر



كان ضحية للمجتمع الرأسمالي.

ثانياً: العمل على إزالة مفهوم الدين، والتقليل من احترام رجال الدين، وتسريب القليل من الأفكار الإلحادية، وبعض نظريات دارون، والذي لم يكن بالمناسبة ملحدًا كما سمعنا، والعمل على إخفاء القيم والمبادئ الدينية بالتدريج من حياتنا، فنجد كارل ماركس يقول: «الدين أفيون الشعوب» في تصوير الدين للشباب على أنه لا يريد لهم أغنياء، أو سعداء، ويريدهم فقراء يتظاهرون بالرضا، ويحبون العمل المرهق مثل أتباع السيد المسيح، كما يعملون على تشويه صورة الأنبياء والرسل والتلاعب في سيرتهم والافتراء عليهم، والتقليل من شأنهم بأسوأ الأساليب، حتى يظهروا وكأنهم مجرد اناس عاديين بل واقل من عاديين.

الخطوة الثالثة: بعد تجريدهم للشباب من كل القيم والأخلاقيات يبدأون في تربيتهم على حب العنف، ومظاهر القمع، والدماء من خلال إدراجهم بعصابات تحت قيادة المنظمات الشيوعية لارتكاب جرائم صغيرة ضد الحكومة، ومن ثم القيام بأعمال شغب من سرقة، ونهب، وخطف كما يربوننا نحن الشباب على التعوّد على مشاهدة أفلام العنف لنعقاد الدماء، وصوت الرصاص، والقتل والانتقام، وأفلام الدعارة، والانحرافات الجنسية، والرذيلة، وزنا المحارم حتى يتمكنوا في النهاية من تدمير عقول الشباب بل والسيطرة عليها.



الأمر الذي تربينا عليه نحن أبناء هذا الجيل من بداية ألعاب مسدسات المياه والبنادق والرشاشات الآلية، إلى ألعاب الحاسوب والهاتف

التي تعلمنا فيها قتل الناس بدم بارد، وسرقة البنوك، والتمرد على الحكومة، وقليل من الإباحية والأمور الجنسية السيئة، غير أفلام المافيا الإيطالية.

اليوم للأسف تجد معظم الشباب من كثرة اعتياد هذه المظاهر، إذا ما شاهد الشاب منهم خبراً عن أزمة أو حرب في بلد ما لا يتأثر، وينام مطمئن مرتاح البال بسبب ما ترعرع عليه من أفكار سواء في الألعاب أو الأفلام من اغتيالات وانفجارات ووحشية، الأمر الذي كان إذا حدث لشباب الأجيال السابقة وآباء اليوم لكانت فاجعة لهم تزعزع أمانهم، واستقرارهم، وتُثير كلاً من العاطفة والشفقة لديهم فور سماعهم أو مشاهدتهم لها.

هذا غير الصور الخليعة والمواقع الإباحية التي تشجع على السادية الجنسية في شكل قمع للإنسانية كما تعمل على تشبيهنا نحن البشر الذين أكرمهم الله بالحيوانات في موسم التزاوج، فلا عجب حين نسمع قول لينين: «إن أفضل الثوريين هو شاب متجرد من المبادئ والأخلاقيات».

وثاني شيء يروج أفكاراً خاطئة عن الحب: حيث لاحظ «فارس» أن الأفلام والأغاني والميديا كانت دائماً ما تملأ عقولنا منذ الصغر بأفكار لم يسترح لها بعد تدقيقه فيها،

من قبيل: أن سعادتك لن تكتمل إلا بوجود شريك حياتك الذي يُمثل نصفك الآخر، أو أننا جميعاً ناقصون في حاجة إلى شخص يكملنا، كما صورت بعض الأفلام والأغاني على الدوام أن البطل لا يستطيع العيش بدون محبوبته، كما لو أنه بدونها ولا شيء، حيث إنها تضيف معنى لحياته، وأنه يموت إذا ابتعدت عنه، وكأنها تقريباً بنكرياسه أو أحد أعضاء جسده، ناهيك عن الإعلانات التي تهتم بشكل زائد بالمظهر الخارجي للأنثى، وشكلها، وجسمها كمعيار أوحد للجمال، بغض النظر عن الأخلاق، والطباع الحسنة والجوهر الداخلي، أو الإعلانات التي تُتاجر بجمال الأنثى مثل: إعلانات مستحضرات التجميل أو إعلانات كريمات الشعر للشباب، التي تُخبرك أنك ما إن وضعت هذا الكريم على شعرك ستمكن من مواعدة كل الفتيات وستتمكن الخروج من دائرة الصداقة، أو أن استخدامك لمزيل العرق الفلاني سيجعل الفتيات يصرخن عليك من جمالك.

هذا غير الأفلام والدراما التي تخص العلاقات التي تكرر تمثيل شخصية «كزا نوبا» بشكل جديد كل يوم، وعن تعدد العلاقات بشكل مقزز مثلاً: ارتباط أحدهم بفتاة مخطوبة أو متزوجة أو عن عمل آخر يلخص عقدة أوديب، أو عن عمل يدور حول المثلية الجنسية لأحد طلاب الثانوية والقائمة لا تنتهي... إلخ.



شعر «فارس» بأنه تحت تأثير شيء ما غير صحي، يتسرب لجيل كامل خلال سنوات عديدة بالنسبة لموضع العلاقات، هذا، أفكار تتسرب إلى عقله من خلال كل هذه الشاشات، ليشعر برغبة ملحة لرؤية الأمور بشكل صائب، فالجأ إلى العلم والكتب التي لطالما أنقذته وفتش هنا وهناك إلى أن توصل إلى هذه الأفكار بشكلها المعكوس والأصلي:

أولاً: عليك أن تكتشف نفسك أولاً، وتصقلها، وتقوم بحل مشاكلك قبل أن تبدأ الدخول بعلاقة مع شخص آخر، وليس العكس فالعلاقات ليست هي الإجابة أو الحل.

ثانياً: إذا لم تكن سعيداً مع نفسك في المقام الأول، فمن المستحيل أن تكون سعيداً خلال علاقتك مع أحدهم.

ثالثاً: نحن لسنا ناقصين نحتاج إلى أن يأتي أحدهم ليكملنا، عليك أن تملأ كوبك بنفسك.

رابعاً: السعادة تكمن في داخلك، فهي أسلوب حياة لا تتعلق بطرف آخر، أو بشيء مادي.

خامساً: عليك أن تشعر بأنك كامل، لا تنتظر شيئاً أو شخصاً ليملاً الفراغ الذي بداخلك.

سادساً: اعمل على نفسك أولاً، ثم بعد ذلك سوف تأتي العلاقات في مرحلة ما؛ فكل شيء في مياعده يكون أفضل.

أصبح «فارس» الآن يرى الأمور بشكل مختلف تماماً كما لو أن عصابة سوداء قد رُفعت من فوق عينيه، واعترف بتأثره بأفلام، وألعاب الأكشن، والحروب التي كان يلعبها



في صغره، وأشفق على حاله وعلى شباب جيله، مترجماً لكل هذه العناصر على أنها حرب نفسية، حرب باردة تعمل على تدمير عقول الشباب، ليتمكن في النهاية من الإفلات، والتحرر من سيطرة القيد الثاني للمصفوفة وهو (الإعلام) أو الـ MEDIA، ليتبقى له في نهاية المطاف قيد واحد فقط لينال حريته الحقيقية.

قال الماهتما «غاندي»: ((ما تفكر به تصبح عليه))



القيد الأخير (\$))

منذ خرجنا إلى هذا العالم صدرت لنا دائماً سياسة
Bigger is better

كنا نرى أفلاماً مثل pain & gain، wolf of wall st
وعلى غرارها، دائماً ما أريد لنا أن نشعر بحالة من عدم
الرضا عن وضعنا المادي، كما تم ربط السعادة بالنقود وكأنها
معيار النجاح، كما أننا تربينا على الرغبة في المزيد إذا فمن
يملك أكثر وأكبر مننا يعتبر أنجح، وهو ربما يكون أحد
العوامل التي قسمت الناس إلى طبقات.

هنا تطورت حاجات الإنسان الطبيعي من ملابس، مأكلاً
ومسكن إلى الرغبة بمضاعفة هذه الاحتياجات بل والأسوأ
هو إحداث خلل في مفهوم الاحتياجات.

منذ منتصف التسعينيات خاصة بعد الحروب والأزمات
العالمية، بدأت الشركات في الخوف من خسارة عملائها
بسبب الحالة العامة، والأجواء السيئة، فبدأت بتبني سياسة
جديدة سياسة توجيهنا لشراء، واقتناء سلع هي في الأصل
مجرد رغبات بوضعها في صورة احتياجات أساسية لا غنى
عنها، ومع الوقت، والتقدم درست هذه الشركات، وطورت
في مجال التسويق؛ بحيث أصبحوا على معرفة أكبر بنقاط
ضعف الإنسان، ليقوموا باستغلالها لصالحهم بشكل يجعلنا

بطريقة غير واعية مدمنين على منتجاتهم فقط، ومتجاهلين احتياجاتنا الأساسية الحقيقية.

دعني أحكي لك قصة شبيهة حدثت في الماضي، بينما الهنود الحمر يعيشون في رضا، وسلام يأكلون ما يزرعونه أو يصطادونه، يلبسون ثيابهم من أصواف وجلود الحيوانات، ويسكنون نفس الخيام البسيطة كلهم بشكل موحد دون استثناء، كلهم كمجتمع واحد تقريباً كانوا متشابهين إلى حد كبير جداً، لا يحتاجون شيئاً من العالم أو الحكومات، اكتفوا بقوت يومهم زاهدين في ملذات الحياة.. إلى أن جاء التجار الفرنسيون والبريطانيون وقلبوا حياتهم رأساً على عقب، من خلال ترويج أحدث أدوات التكنولوجيا والأسلحة وإغرائهم بالذهب والفضة والخمر في محاولة لإقناعهم بأن المرء يُحترم بقدر امتلاكه لهذه الأشياء، كان التجار في الحقيقة يريدون منهم الفراء والجلود ليس إلا ولم تكن بحوزتهم سوى هذه المنتجات؛ لذلك حاولوا بيعها لهم على أنها حاجات أساسية وليست مجرد رغبات، في البداية ابتاعوا لهم المرايا والفؤوس والأواني والغلايات والأطباق التي بالفعل كانت تساعدهم في حياتهم اليومية ثم تدريجياً باعوا لهم الخمر والأسلحة والذهب... كان لهذا تأثير جديد على الهنود مما زاد من ولعهم لاصطياد الحيوانات للتجار، بل حتى إنهم كدحوا في العمل على غير طبيعتهم (الاكتفاء) حتى صدروا لهم آلاف من قطع الفراء خلال مدة قصيرة جداً، وبعد فترة



وبعد أن هدأت الأمور لم تتحسن أبدًا حياة الهنود في شيء ولم يزدادوا سعادة أو رضا بل على العكس صاروا مجموعة عرابيد سكيرة مدمنين على الكحوليات، تفرقت مجتمعاتهم وتفككت، بعدما كانوا قوة واحدة مترابطة، وأخذوا يتشاجرون، ويتناحرون على بضائع التجار ومكاسبهم، حتى أصبحوا في النهاية محبين لمظاهر الترف من اكتناز الذهب، والفضة، واستسلموا لشهواتهم وعميت أبصارهم عن المعاني الحقيقية للسعادة التي كانت حولهم متمثلة في الطبيعة الغناء والأنهار والجبال والأودية والتلال حولهم ونجوم السماء من فوقهم.... إلخ.

في مجتمع اليوم نحن نتسابق نحو تميز زائف، فنقوم بشراء منازل أكبر غالبًا لا نستفيد في الحقيقة من معظم مساحتها، وشراء سيارتين ليس لأن الأولى قد تعطلت أو لم تعد تنفع بل لأننا مللنا منها فقط، يشتري الناس الأيفون حديث الإصدار لأن القديم قد بات همًا على كتفهم، فهو لا يواكب الموضة، والإمكانيات الجديدة، نريد شراء ملابس أكثر، حتى الملابس كانت تصنع للأربعة فصول، الآن كل شهر تجد موضة جديدة تخبرك أنك أصبحت من الطراز القديم، حتى تشتري وتكتنز ما لا تحتاجه في الأساس، ومعايير الجمال نفسها لم تسلم ومن ثم تشوهت هي الأخرى، معظم الفتيات يردن شفاه أكبر، كما يخضع بعضهم لبعض العمليات الجراحية ليصيروا مثل فلتر الأسنان شات، أصبحن يردن

جسدًا مثل الممثلة الفلانية، أما الشباب يريدون ذقن جورج كلوني، وجسد كريستيانو رونالدو، حتى أصبح الجميع في الشوارع والصور مُسخة من شكل الآخر سواء في طريقة الملابس، أو الشكل وكل شيء.



تخيّل معي يا صديقي الفرق الكبير بين الإنسان الطبيعي في الماضي وبين الإنسان المتمدن لنرى أن الشيء الذي قد يسعد أحدهم قد يكون سببًا في قنوط الآخر، فالإنسان البدائي البسيط بطبيعة حاله لا يريد شيئًا سوى سد جوعه وإشعال نيرانه والنوم تحت الأغصان حماية من المطر والهروب من الحيوانات الضارية بطريقة أو بأخرى، فهو راضٍ بأي حال فلن يتمكن دائمًا من أكل اللحوم كل يوم؛ لأنه على الأرجح لن يتمكن دائمًا من الاصطياد فيمكنه بدلًا من ذلك أكل الفاكهة، والنباتات، أما بالنسبة للحيوانات الضارية فيمكنه أحيانًا صنع الفخاخ والمكايد لها فيكون بذلك سيد الغابة، ويكون فرحًا بنفسه فقد حقق شيئًا ما، وأما النار، والأمطار فإن لم يتمكن من جمع الأغصان فيمكنه



فقط الاحتماء في أحد الكهوف، غير ذلك هو لا يشغله عمل أو تدريب أو هم النوم في حجرة سيئة أو العمل عند أحدهم لشراء بيت أو سيارة هو فقط سعيد لا يحمل هم المستقبل. أما الإنسان المتمدن تجده سريع الحركة في الشارع، يستيقظ من الفجر في سباق مع الزمن دائماً ما يعرق ويضطرب بلا انقطاع عن مشاغل الحياة التي لا تنتهي كل همه ليس فقط أن يعيش، بل أن يعيش بشكل أفضل في حالة عدم رضا، يستعبد نفسه ويتودد إلى صاحب العمل وإلى من يحتقرهم من أجل الحصول على حياة قد سُوقت له.

في حقيقة الأمر أن دماغنا البشري يشبه الصلصال أو العجين، فهو مجهز للاستماع دائماً إلى اقتراحات الآخرين عن السعادة والحياة الأفضل، إذاً بالتأكيد فإن كلاً من الأفلام، والإعلانات، وجميع طرق الدعاية، والترويج تؤثر على عقولنا ثم تفكيرنا ثم مشاعرنا، وبالتالي تؤثر على سلوكنا بطريقة أو بأخرى، علينا أن نأخذ في الاعتبار تطور أدوات الإعلام على مدى القرون وتأثيرها علينا بداية من الصحف، الجرائد والمجلات العالمية إلى الإذاعة، جهاز التلفاز، الإعلانات، الهاتف الخليوي ووسائل التواصل عليه نعم وسائل التواصل الاجتماعي ليست فقط وسائل تواصل، ودعنا نتحدث عنها بإيجاز.

وسائل التواصل من المعروف أن معظمها تقدم مجاناً بهدف ربط الناس بعضهم ببعض لكن في حقيقة الأمر ما هي



إلا مجرد منصات للترويج ووضع الإعلانات، ألم تسأل نفسك لما هي مجانية، ببساطة لأنها تقوم بجمع المعلومات عن كل من فيها من خلال معرفة جميع نشاطاتك واهتماماتك، مما يخلق لديهم توقعاً لما سيعجبك من المنتجات لتظهر أمامك في الإعلانات وسط آخر الأخبار أو قبل تشغيلك لمقاطع الفيديو على اليوتيوب مثلاً.

صرح تريستان هاريس من فيلم Social dilemma المدير السابق لأخلاقيات التصميم لأحد المواقع بأنهم كمصممين كانوا يصممون شكلاً، ولون البريد الإلكتروني بطريقة تجعلك مدمناً عليه، في هذا العالم المعلنون هم زبائن شركات وسائل التواصل أما أنت وأنا مجرد بيانات، هم فقط يحاولون إبقاءك أكبر وقت ممكن على منصاتهم بكافة الطرق الممكنة.

يقول هاريس إنهم يتنافسون على نيل انتباهك ليعرفوا أكبر قدر من اهتمامات المستخدمين، نحن المنتج الذي يتم بيعه في الحقيقة، وبالمعلومات التي يعرفونها عنا، أصبحوا يبيعون اليقين، هم عرفوا أن المعرفة قوة لذلك وجب استغلالها.

من تويتر يقول: إن كل فعل وحركة على لسان Jeff seibert على الشاشة تراقب ويتم تعقبها وتسجيلها، حتى إن الصور التي نقوم بفتحها تقاس مدة رؤيتها لها، وحتى كيفية تفحصنا لها، كما يضيف أحد موظفي هذه الشركات أن كل هذه البيانات تغذي في أنظمة يكاد ألا يوجد إشراف بشري



عليها (الذكاء الاصطناعي)، والتي تبني توقعات أفضل عما سنفعله، وعن طبيعتنا بناءً عليها، يقدمون لك اقتراحات أو توصيات حتمًا ستعجبك أو ستنتال اهتمامك عن أي موضوع ليقوموا بوضع الإعلانات لك قبل مشاهدتك وفتحك لهذا المحتوى أو أثناء مشاهدتك له، من خلال تلك العملية هم يجنون أموالاً ضخمة من أصحاب الإعلانات.

كما يضيف أحدهم بأن تلك المواقع صممت لتكون بيئة قائمة على الإدمان والتلاعب، صممت بشتى الطرق لاختراق سيكولوجية الناس مثلاً:

صوت الإشعارات، رؤيتها من خارج قفل الشاشة، اللون الأحمر الذي يميزها، عدم بيان كامل محتويات الإشعار من خلال شاشة القفل حتى تستدرجك للدخول إلى التطبيق نفسه لترى ما هي الصورة أو التعليق التي تمت الإشارة إليك فيه ومن ثم قضاء وقت أطول، وبالتالي هذا يعني معلومات أكثر والأهم إعلانات أكثر هذا غير أزرار التفاعلات على الصور أو المنشورات اليومية التي تحفز الدوبامين في الدماغ. يقول تريستن هاريس أحد المصممين لموقع الفيس بوك أن الأمر كما لو أنهم يجبرون الناس على الدخول بمصفوفة ما، لكن المشكلة الحقيقية هي كيف ستدرك أنك بداخلها إذا كنت لا تراها من الأساس.

سواء لم يكن كل هذا هو هدف المصممين منذ البداية، سواء كانت هذه غلطة الذكاء الاصطناعي، أو حتى ظروف



المجتمع السيئة أو انخفاض مستوى المعيشة في كثير من الدول هي ما جعلتنا في حاجة ملحة إلى التميز الفردي والرغبة في امتلاك أموال أكثر، وثياب أكثر، وبيوت أكبر اعتقاداً أن هذا هو الطريق إلى السعادة، سواء كنا ضحية أعمالنا، أو مجتمعنا، أو كبرى الشركات علينا دائماً تذكر أن ((لا ثروة غير الحياة نفسها)) راسكين.

كما شرح راسكين وتحدث عن الثروة بمفهومها القديم التي تتمثل في الطبيعة بذاتها في الناس في الابتسامات، التواضع، رهافة الحس، في الإحساس بضعف ومعاناة الآخرين، في مساعدة الفقراء والمساكين، في تأمل سماء الليل، ونجومها في حب العائلة لبعضها، في صوت الهواء عندما يداعب الحشائش، في سماع صوت صرصور الحقل، في رؤية الفراشات، في عمل الخيرات، ليس في اكتناز الذهب وتملك العقارات.

صديقي القارئ إن التغيير لن يحدث في لحظة مثل شعار شركة نايكي Just do it كما أننا بالتأكيد لن نجد السعادة في زجاجة مياه غازية مثل شعار كوكاكولا Open happiness وحتماً لن تكون الحياة دائماً جيدة وسهلة كما في شعار LG Life is good

إذا بدأنا برؤية الأمور جيداً من حولنا، والإقرار والاعتراف فعلاً بمشاكلنا ستكون هذه هي بداية الحل، وكما أننا استعرضنا ثلاثة عناصر شريرة وضعنا جميعاً تحت تأثير



تعويذة ما، وقامت باستدراجنا بداخل مصفوفة حبستنا
بداخلها لقرون عديدة، أقدم لك ثلاثة حلول للهروب من هذا
المستقع الذي غررنا فيه بقوة.

““

الحل



الحل الأول (الرجوع إلى الماضي)

لنرجع معًا بالزمن عبر السنين والقرون الماضية من تاريخ الإنسانية، لتتخيل سويًا كما تخيل الفيلسوف والكاتب «جان جاك روسو» في كتابه خطاب حول أصل عدم اللامساواة؛ حيث تخيل «روسو» أن الإنسان البدائي أو الطبيعي حتمًا كان أشد سعادة ورضا عن الإنسان المتمدن، فقد كان جل ما يشغله هو صيد الفرائس وجني الثمار من النباتات، والبحث عن حجرة صغيرة في كهف تأويه من الطقس السيئ والحيوانات الضارية، كان فقط يريد أن يشعل النار ويمضي الليل مع عائلته التي يحبها ويحميها بدمه بذلك قد حاز الدنيا وما فيها، هو لا يريد كنزة جديدة من أحد البراندات أو كهف خمس نجوم بغرفة وسرير إضافي، لا يريد حصانين بدلًا من واحد، فقد اكتفى بسد حاجاته الأساسية على غرار الإنسان المتمدن.

صديقي عليك أن تستببط أن الثراء الحقيقي ليس بامتلاك العديد من الأشياء والممتلكات، إننا نستطيع الشعور بالرضا والقناعة بأقل القليل، كما يُقال: ((الغنى في الاستغناء)).



لقد زُينَ لنا أن السعادة تكمن في الحصول على أشياء أكثر أو أموال أكثر، فنجد الناس وقد خرجوا من بطون أمهاتهم في مراثون لا يتوقف إلى أن يموتوا فقد ولدوا يتسارعون ويتنافسون من الصغر على دخول الكلية الأعلى مكانة والحصول على الوظيفة الأفضل دخلاً، بغض النظر عن مهاراتهم، اهتماماتهم، حتى إذا عمل أحدهم في وظيفة بسيطة يُنظر إليه نظرة الفاشل بالرغم من حصوله على ما يكفيه فعلياً.

لا يخاف الناس من الفشل أو الضياع نفسه، قدر ما يخافون نظرة الناس إليهم كفاشلين، حتى إذا كان المرء يملك قوت يومه وبيتاً يكفيه وعملاً بسيطاً قد يوصم في أحد المجتمعات بالفاشل أو الفقير، فقط لأنه لم يصل إلى الحد الأدنى من مستوى المعيشة في مجتمعه، حتى قد يتسلل إليه هو نفسه شعور بعدم الرضا بالرغم من امتلاكه إلى كل ما هو بحاجة إليه حقاً.

يُحكى أنه في أحد الأيام مرت إحدى القوافل خلال دهاليز أثينا، وكانت مدججة بأثمن البضائع من الذهب والفضة والمجوهرات الثمينة والأحجار النفيسة فما إن رأى «سقراط» هذه القافلة حتى بدأ بالصراخ قائلاً:

((انظر...! ما أكثر ما وضع هنالك من أشياء لا أحتاجها))

إن هدف الإنسان اليوم من الثراء ليس في الثراء نفسه ولكن هدفه هو نظرة الناس له كشخص محبوب وناجح من



خلال تملكه للأراضي والأطيان، في الماضي سُئل الفيلسوف والإمبراطور «كارلوس أوريليوس» نفسه عن أهمية آراء الناس؟ فأخذ يسأل في نفسه، هل يصير الشيء أفضل إن امتدحناه؟

هل يصير أسوأ إذا قمنا بدمه؟
هل يصير كلُّ من الذهب والياقوت أسوأ إذا قمنا بدمهم،
حتى هل يصيرون أفضل ما إن امتدحناهم؟
وكانت إجابته هي لا في كل مرة، فاستنتج بذلك بأنه لا
يجب أن تؤثر عليه آراء الناس سواء بالمدح أو الذم.

تحرر يا صديقي من تلك العقد المجتمعية، تحرر من
الطبقية والعنجهية الكاذبة انظر إلى العظماء في مسيرتهم
في الحياة، وفي بداية طريقهم تجدهم وقد امتهنوا أبسط
المهن وأكثرها تواضعاً على سبيل المثال ما كان يعمل الأنبياء
والرسل في الماضي؟ كان نوح عليه السلام نجاراً، وكان إدريس
عليه السلام ممتهنًا للحياكة، كما كان داوود عليه السلام
حداداً يصنع الدروع وأدوات الحروب، وعيسى عليه السلام
كان يعمل نجاراً كما عمل كلُّ من موسى ومحمد صلوات الله
عليهم بالرعي، وكانوا أعلى الناس منزلةً وقدرًا وأشرف خلق
الله.

إن الأمر فقط يدور حول المجتمع ونظرته وتقييمه؛ فتوقف
عن تقييم حالك بأعين الناس، أعرف أنه للأسف هناك كثير
من الدول ما تحط من قدر بعض الوظائف وتزدري العاملين



بها، لكن دعنا ننظر إلى كوكب اليابان في احترامه وتقديسه
لدور كل مهنة، أو إلى ألمانيا دعنا ننظر إلى الأفضل، دعنا
نواكب الشعوب في أمور تستحق المواكبة.



منحوتة عمال النظافة باللون الذهبي في الصين



تمثال مدينة «براتيسلافا» وقصته الشهيرة

الحل الثاني تعاليم الأديان السماوية)

الأديان السماوية بتعاليمها وقيمها وما تقدمه من أخلاقيات، تعصمنا وتحصننا من البداية من الوقوع تحت تأثير أي عنصر من عناصر المصفوفة الثلاثة أولاً عن الإباحية: بالطبع لم تكن لديهم مواد إباحية في أيام الأنبياء ولكن حتماً كانوا يتعرضون للشهوات أو الإغراءات بصورة أو بأخرى، فمثلاً من أقوال السيد المسيح عليه السلام: ((إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهها، فقد زنا بها في قلبه))^(١)، ومن أقواله أيضاً عليه السلام: ((فإن كانت عينك اليمنى تعثر، فاقطعها وألقها عنك))^(٢)

في توضيح بأن معظم الأفعال الخاطئة تبدأ بالعين، فحين تنظر تبدأ في التخيل ومن ثم تنغمس أكثر وأكثر في الخيال إلى أن تقع أخيراً في الخطيئة.

أما في الإسلام قال جل جلاله في كتابه الكريم: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [التور - ٣٠]

(١) مت: ٢٨:

(٢) مت: ٢٩:

وفي آية أخرى قال الحق سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإِسْرَاءُ: ٣٦]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إياكم والجلوس
على الطرقات فقالوا ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث
فيها، قال فإذا أبيتم المجالس فأعطوا الطريق حقها، قالوا
وما حق الطريق ؟ قال: غض البصر وكف الأذى، ورد السلام،
وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر))^(١)

هذا بالنسبة للعنصر الأول أما عن العنصر الثاني
الاستهلاك \$:

يعلّمنا الكتاب المقدس أن نسعى إلى الكفاف وأن نرضي
بما لدينا بدون أن نكثر بمظاهر الغنى والثراء، فنجد في
جزء من الصلاة الربانية يطلب العبد ويقول: ((حُبْرْنَا كَفَّأْنَا
أَعْطْنَا الْيَوْمَ)).

كما يحذرنا الإسلام من هذه الفتنة ففي حديث عن
الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَإِنَّ
فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ))^(٢).

(١) روي في الصحيحين عن «أبي سعيد الخدري» رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي وأحمد.



وقال أحد الفلاسفة: ((أعجب ما في الإنسان أن ينقص ماله فيقلق، وينقص عمره فلا يقلق)).
إن تمسكنا بالدين وإيماننا بالله والدار الآخرة، يعصمنا ويجنبنا الفتن بكافة أشكالها كما يبعدنا عن كل هذا العبث الذي صنعه الإنسان، ويحمينا من أهواء النفس وشهوات الجسد.

“

الحل الثالث (إعمال العقل بالعلم والمعرفة)

الإنسان يميل بطبيعته إلى الابتعاد والخوف من التغيير، فكما تعلم أن التغيير لا يحدث بين ليلة وضحاها، عليك أن تصنع عادات جيدة، وتبدأ برؤية العالم حولك في تمعن، وتذكر ((أن مصدر العادات هو السلوك، ومصدر السلوك كان في الأصل فكرة)).

كما قال «سقراط»: ((إن أي عمل غير فضيل تقوم به، فإن أساسه هو جهلك بأضراره)).

عليك دائماً أن تفكر في كل شيء حولك قبل أن تدخله إلى عقلك، وأن تسأل نفسك ما هي القيمة التي سأكتسبها مثلاً من هذا الفيلم أو الأغنية أو أي شيء ستشتريه أو كتاب ستقرأه، ماذا سيضيف إلى حياتك؟

ابحث عن العلم واقرأ فنحن المسلمين أمة ((اقرأ))، فالقراءة تزيد عمراً إلى

عمرك، كما أنها تلخص لك الكثير من القضايا، والأفكار، والخبرات وتثقل من رؤيتك لما حولك وتزيدك نضجاً .

سُئل أحد العلماء لماذا تقرأ؟ فقال: ((لأن حياة واحدة لا تكفيني أبداً))



قُم بوضع خطة حقيقية مرسومة وواضحة الخطوات لعملية التغيير؛ فكما يقول المعمارون: ((النموذج يتبعه العمل)).

وكما يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ) (١).

وتوكل على ربك فهو حسبك، وابدأ بداية صحيحة أساسها العلم والمعرفة مستعيناً بالله، متحملاً جميع صعوبات الوصول إلى مرادك خصوصاً في بداية الطريق، فكما يُقال: ((التغيير في أوله صعب، وفوضوي في المنتصف، لكنه بالتأكيد رائع في نهاية المطاف)).

““

(١) رواه (أبو هريرة).

وأخيراً (دور الأسرة)

الأب والأم يمثلان القدوة الأولى لأبنائهم في علم النفس التربوي الأبناء يقلدون، ويحاكون الآباء والأمهات في جميع تصرفاتهم، فهم يفعلون ما تفعلونه لا ما تأمرون بفعله. لا يجب على الأسرة الاكتفاء فقط بتعليم أبنائها في المدارس أو بالذهاب معها إلى دار العبادة أو بتربيتهم بحسب العادات والتقاليد فقط، فلكل عصر وجيل تحدياته الخاصة، فتقربوا إلى أبنائكم وكونوا خير رفيق لهم، تخلصوا من عقدة الكبير والصغير وعاملوهم معاملة الند بالند حتى تكون لهم الشخصية والرأي وطريقة التفكير، انخرطوا معهم في مشكلاتهم وربوهم على الحوار الأسري ليتمكنوا من التعبير عن مشاعرهم، فما أجمل أن تجلسوا جميعاً على مائدة الطعام ويبدأ الكل بسرد أحداث يومه دون إصدار الأحكام؛ فإن ذلك يُعزز من أواصر المحبة ويعمل علي نشر الألفة بين أفراد الأسرة، كما أنه يُقلل من المشاحنات والمشاكل اليومية. ما أجمل أن ترافق ابنك الصغير إلى السوق أو السوبر ماركت وتقوم بتعليمه الفرق بين الحاجات الأساسية التي لا غنى عنها وبين الرغبات التي يمكن تأجيلها على سبيل المثال:

﴿

اسأله عند شراء الخضراوات أو الخبز أو الجبن هل هذه تُصنّف (حاجة) أم تُصنّف (رغبة)؟ وكذلك الأمر عند شراء الحلوى أو المتلجات مثلاً اسأله نفس السؤال لا تجعلوا أبناءكم في أُمية مالية، كما يمكنك بعد ذلك في مرحلة ما من عمره أن تحدد له مصروفًا خاصًا كما نفعل جميعًا ولكن الأهم أن تعلمه كيفية إدارته وإنفاقه لأمواله بطريقة صحيحة حتى يحترم قيمة النقود، وأبسط وأمتع شيء للقيام بذلك على سبيل المثال معرفته لمصفوفة الأولويات التي تداولها «ستيفن كوفي» في كتابه العادات السبع للناس الأكثر فعالية، والتي أفادتني شخصيًا في أموري المالية.



مصفوفة الأولويات: مصفوفة العاجل والمهم

غير عاجل	عاجل	
٢ التخطيط اكتساب مهارة - دورة تدريبية صلة رحم - بناء علاقات التعرف على فرص جديدة الترويج عن النفس	١ طوارئ - أزمات مشاكل ضاغطة - صيانة عاجلة اتصال مهم - مستشفى موعد مهم حُدد متأخراً تدريس الأولاد يوم الاختبار	٣
٤ نشاطات مسلية غير مهدفة مشاهدة التلفاز للتسلية مكالمات هاتفية غير مهمة دردشة الانترنت المزاح الزائد التوافه ومضيعات الوقت	٣ المقاطعات بعض الرسائل المقابلات المفاجئة مشوار غير مهم للأهل أو لأحد الزملاء	٤

ع

وعظيم أيضاً أن تربي أبناءك منذ الصغر على الآداب والقيم من آداب الطعام، والحديث، والهندام المناسب لكل مكان ((فلكل مقام مقال))، وعلى غض البصر وآداب الطريق، والأهم والأعظم من هذا كله هو أن تكون لهم قدوة ومثالاً يحتذى به ... فابن اليوم هو أبو الغد، سيصير الابن أباً، وزوجاً ومربياً بما تربي وشب عليه كما ستصير الفتاة أمّاً وزوجة ومربية، فقبل أن تقرر الإنجاب أرجوك تعلم أكثر عن أساليب التربية الصحيحة، لا ترب كما تربيت فلا شيء كامل أو مثالي، الكمال لله وحده هذا هو حال البشر نخطئ ونصيب.

تذكر أنت مسئول عن أولادك أمام الله وأمام المجتمع، فكلنا راعٍ وكلنا مسئول عن رعيته.

“

النهاية

تحرر «فارس» أخيراً من جميع عناصر وقيود المصفوفة، وخرج منها وقد صار شخصاً مختلفاً تماماً، تغيّرت مجرى حياته ونظرته لنفسه وللعالم، وأصبح صاحب رؤية وعلى إثر هذا التغيير الداخلي، تغير كل من شكله ومشيته وصوته ونظرة عينيه كما أنه صار أكثر ثقة، قوة، عاطفة، وحكمة عن ذي قبل كما تغيرت طريقة ارتدائه لهندامه وتغيرت خزانه ثيابه رأساً على عقب، فقد بدأ يتخلص من كل ما لا ينفعه فهو الآن قد بات يعرف أولوياته، ويسيطر على رغباته وشهواته، هو يشعر بالخفة والتحرر.

صارت له أهداف واهتمامات مختلفة؛ فقد بدأ يهوى علم النفس ويفكر في الحصول على درجة الماجستير في هذا المجال ليس فقط لحبه فيه، بل رغبة في مساعدة الناس ومد يد العون لهم: (كما أنه لم ينس يوماً حلمه بشأن الموسيقى والجيتار، لكنه بدأ ينظر لهذا الحلم من منظور ديني محاولاً وضع الأمور في نصابها).

هو تغير فعلاً وبدأ بنفسه ثم بأسرته وبالأخص بأخيه الأصغر فعلمه كل شيء قد تعلمه يوماً، كما حذره من الفتن والتحديات التي قد يتعرّث بها في حياته وكان خير معلم، وتحول



من شخص مجهول إلى شخصية مؤثرة في أسرته ومجتمعه،
يحمل الخير في قلبه والعلم في عقله والحب والإحسان في
عمله شاكرًا للقدر على كل العقبات والابتلاءات مقتنعًا بأن
كل محنة قد مر بها كانت في حقيقة الأمر منحة له من ربه،
لوضعه على الطريق الصحيح.

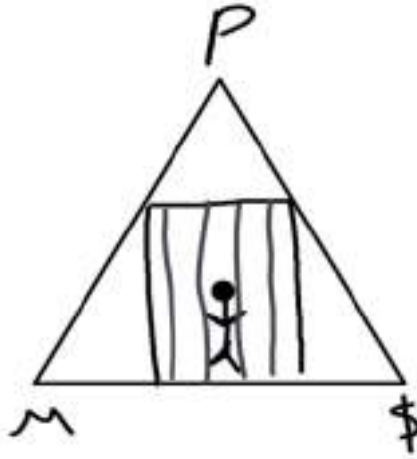
صار ممتًا لوجوده في هذا العالم ولأول مرة شعر بلذة
الحياة.

الآن وقد خرج «فارس» من مصفوفته أتمنى بدوري أن
أكون ساعدتك على الخروج من مصفوفتك أنت أيضًا، في
حالة إذا كنت قد علقت بها لفترة بطريقة أو بأخرى، أو على
الأقل أتمنى أن أكون نبهتك لهذا الشر القابع المحيط بنا،
أتمنى لك السلامة والأمان في هذا العالم.

الآن بعدما اتضحت لك فكرة الكتاب كاملة وعشت مع
«فارس» بداخل كل عنصر من عناصر المصفوفة، وتحررت
معه في نهاية الرحلة، أستطيع أن أقول لك: «أهلاً بك في
العالم الحقيقي».

اذهب الآن وغيّر نفسك أولاً، ثم من حولك من ثم حاول أن
تجعل العالم مكاناً أفضل.

تمت بحمد الله



تذكّر إذا ما تعثرت يوماً بعد خروجك من المصفوفة، أو
أنه تم استدراجك للعودة بداخلها مرة أخرى فتذكر هذه
الرسمّة؛ فهي فكرة والفكرة لا تموت أبداً
انشرها حولك وأخبر أسرتك، وأصدقاءك عنها وعن
معناها...

““

شكر خاص

الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى قبل أي مخلوق حمداً كثيراً على كل حال.

أريد أن أشكر جدي الذي زرع بداخلي حب القراءة، والمطالعة، وعلمني معاني المحبة والعطف، أحب أن أتوجك بهذا العمل؛ فقد كنت خير معلم وصديق -رحمك الله- وأسكنك الفردوس الأعلى.

كما أشكر عائلتي أبي وأمي الذين أحسنوا تربيتي قدر المستطاع، وكانوا سبباً في وجودي لهذا العالم.
- وأتوجه بالشكر إلى أخي الكبير وصديقي «عمر» طيب القلب ورفيق الدرب.

- إلي اختي «زينب» نشكر الله علي وجودك في هذا العالم لا أستطيع تخيله بدونك لحظة واحدة، تعلمت منك الكثير دون ان ادري (وشكرا على التصحيح اللغوي لبعض كلمات الكتاب، وان تركنا بعضها للمدقق اللغوي في النهاية)
- والشكر العميق لـ«آية خيرى» ملاكي المنقذ التي كانت بمثابة أختي الكبيرة التي لم تولد من رحم أمي ولا من دم أبي، شكراً لوجودك والدعاء لي في أيامي المظلمة المجنونة.
- إلي عم «محمد» بائع الكتب الذي لم يبخل عليّ بكتبه وعلمه ومحبته. (أين كوبونات الخصم؟)



- وأخيراً إلى أصدقاء العمر المهندس «فؤاد أحمد»، كنت ومازلت خير منصت وداعم لي، إلى صديق الطفولة «أحمد محمود» لوجودك بجانبني دائماً طوال الطريق، وبالأخص عندما يغيب الجميع.